Conflict between East and West in Modern Arabic Novels: Socio-Political Issues (A Selective Study)

Dissertation Submitted to the Jawaharlal Nehru University in

Partial fulfillment of the requirements for the awards

of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

MOHAMMAD SALIM

Under the supervision of

Dr. MUJEEBUR RAHMAN

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

2012

الصراع بين الشرق والغرب في الرواية العربية الحديثة:القضايا الاجتماعية والسياسية (دراسة انتقائية)

Conflict between East and West in Modern Arabic Novels: Socio-Political Issues (A Selective Study)

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراة

الباحث

محمد سليم

تحت إشراف

الدكتور مجيب الرحمن

مركز دراسات اللغة العربية و الإفريقية

كلية دراسات اللغة و الأدب و الثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي- ١١٠٠٦٧

٢٠١٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم، وعلى آله وأ صحابه الغر الميامين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم من العلماء والأئمة إلى يوم الدين، أمابعد:

فمما لا مرية فيه أن الخطاب الروائي العربي الحديث قد تناول القضايا الهامة المصيرية للأمة الشرقية والعربية وعرضها علي ساحة البحث والدرا سة، و قدمها في صور الحوار والنقاش، مما أ دى إلى بروز خطاب فكري عربي أ صيل ذي مواقف فكرية متعد دة ورؤى فلسفية مختلفة وأفكار أيدولوجية متنوعة. ومن هذه القضايا الهامة التي تناولها الخطاب الروائي الحديث وبحثها طر دا وعكسا والتي لها صدى واضح وبعيد في الوجدان العربي هي قضية أو إ شكالية الصراع بين الشرق والغرب.

وقد ابتدأ تناول الرواية العربية لقضية الصراع بين الشرق والغرب منذ أن حاول روا د النهضة العربية الحديثة التعبير عن آرائهم و أفكارهم ومواقفهم منها بوا سطة الفن الروائي الحديث منذ ظهور وبلورة هذا الفن الحديث، إلا أن طريقة معالجتهم للقضية و مواقفهم منها قد تفاوتت واختلفت بحكم تفاوت واختلاف بين طبيعة فهمهم للقضية وإدراكهم لها كما أنها تفاوتت من حيث ظهور إنتاجاتهم الأ دبية في فترات زمنية مختلفة.

وبما أن الفترات الزمنية التي ظهر فيها الفن الروائي العربي و بالتالي الخطاب الروائي العربي الحديث، كانت فترات نضال و صراع مستمرين عنيفين ضد الاستعمار الغربي و عدوانه الذي أعاد من جديد في ذاكرة الشعب الشرقي والعربي الواعية واللاواعية ممارسات الصليبين العدوانية القديمة ضد الشعوب الشرقية وحروبهم الدامية الماضية ضدهم، الأمر الذي أذكى نار الصراع بين العالمين الشرقي والغربي.

ومن الطريف أن نذكر أن العالمين الشرقي والغربي لم يتوقفا يوما من التفاعل الثقافي والتلاقح الحضاري والتعامل السياسي مع ما وقعت بينهما من حروب ومع ما جرت بينهما من منافسات. فقد كانت التفاعلات والاحتكاكات بين العالمين جارية وقائمة منذ غابر الزمان.

ولعلنا ما نجد فيما وجدت من وجوه التفاعل والتلاقح بين العالمين في القديم من الزمان مثل الذي وقع إبان الحكم الإسلامي لإسبانيا و استقطابه لكبار العلماء والماهرين من جميع أنحاء العالم ما يدل على ذلك. كما أننا نجد هذا التفاعل قائما في العصر الحديث بالرغم مما رأيناه من وجوه بشعة كريهة للاستعمار الأوروبي البغيض الذي هو محبوب و مبغوض، عدو و صديق في وقت معا عند الشعوب الشرقية بحكم كون

المستعمر حاملا وجوها متعددة لحضارته وثقافته و ذاته، فهو المتحضر والمثقف والمعلم من ناحية والمستعمر والناهب والظالم من ناحية أخرى.

وقد رصدت الرواية العربية كل هذه الوجوه والصور للمستعمر الأوروبي الذي حينما انطلق يستعمر البلاد و يستعبد العباد وينهب الثروات ويستنزف الموارد ويهدم الثقافات و ينتهك الأعراض، كان يمارس كل هذا العدوان وفق رؤية محددة ومدروسة ومخططة مسبقا لإيقاع الناس في شراك استعماره الذي نصبه لهم ولإبقاء العالم كله تحت هيمنته المركزية.

وقد تنبه المفكرون والأدباء العرب لهذا الخطر الكبير والشر المستطير فبدأوا يهاجمونه و يكتبون عنه ويحذرون الناس من مخاطره. و قد عني الروائيون العرب بقضية الصراع منذ أول يوم نشأة الفن الروائي في العالم العربي، وأتوا بروايات رائعة تهتم بهذه القضية اهتماما بالغا وتعالجها من نواح عديدة، وزوايا أفكار ورؤى مختلفة. ومع مرورالزمن نرى أن الروايات العربية قد صارت مجلى لما كانت تخطر ببال الروائيين العرب من أفكار وآراء، وأداة صالحة في أيديهم يبثون بواسطتها وجهات نظرهم و أيدولوجياتهم وتوجهاتهم الفكرية والسياسية المختلفة.

وقد حظيت معالجة الرواية العربية لقضية الصراع الحضاري باهتمام وعناية الباحثين والنقاد، فخصصوا لها بحوثا و دراسات كتبت و قدمت من

زوايا متنوعة ونواح متعددة و ذلك بحكم تعدد التوجهات و الرؤى و الأفكار التي صورتها الرواية العربية، وإن كانت معظم هذه الدراسات جنحت إلى تعميمات وتفسيرات نقدية غير دقيقة، إلا أن هناك عددا من المفكرين والنقاد والباحثين الذين أخذو الموضوع بكل جدية فقدموا بحوثا قيمة و دراسات نافعة متينة ولسنا نريد أن نبخسهم حقهم.

أما دراستنا هذه المتواضعة فهي محاولة مني لفهم قضية الصراع الحضاري بين العالمين-الشرقي والغربي- فيما يتعلق بالقضايا السياسية والاجتماعية كما تمثلتها الرواية العربية و ذلك من خلال قراءتي لبعض الروايات العربية التي لها مكانة و أهمية ووزن في العالم الروائي العربي والتي لعبت دورا هاما في بث الوعي الشعبي العربي تجاه قضية طالما استلفتت أنظار الكتاب العرب واسترعت انتباههم.

وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز الرؤى والتوجهات والأفكار التي تبنتها الرواية العربية عن قضية الصراع كما أنها تتبع ظهور الصراع الحضاري بين الشرق والغرب فيما يتعلق القضايا الاجتماعية والسياسية في الرواية العربية. وقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة أبواب وكل باب يضم عددا من الفصول إضافة إلى مقدمة وخاتمة وفي نهاية البحث قائمة للمراجع والمصادر.

أما الباب الأول فهو عن "القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية في البلدان العربية عند النهضة العربية الحديثة". وهذا الباب يحتوي على ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول تكلمت وجيزا عن الأوضاع السياسية و الاجتماعية والثقافية للبلدان العربية في العصر الحديث و ذكرت فيه ما آلت إليه أحوال العالم العربي كله في جميع مجالات الحياة من سوء وفساد وجهالة. وفي الفصل الثاني تحدثت عن النهضة العربية الحديثة و دوافعها وعواملها وأساطينها. وفي الفصل الثالث ذكرت تطورالأدب العربي الحديث و ظهور الفنون الأدبية الحديثة. أماالباب الثاني فهو يتحدث عن" تجسيد الرواية العربية لمسألة الصراع بين الشرق والغرب فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية والسياسية" وهو يضم أيضا ثلاثة فصول، يتناول الفصل الأول كلاما وجيزا عن إرها صات عن الصراع في النصوص الروائية الأولى، والفصل الثاني يبحث في قضية الصراع بين الشرق والغرب في الرواية العربية فيما يتعلق بالقضايا السياسية والاجتماعية من مثل ذكر للاستعمار والاستشراق و الصراع السياسي و ذكر للصراع بين قيم الشرق والغرب الاجتماعية. ويتناول الفصل الثالث الكلام عن محاولات الروائيين العرب لتقديم نماذج و صور للتصالح والمسالمة مع العالم الغربي. أما الباب الثالث فهو في"قراءة في بعض روايات الصراع الحضاري فيما يخص القضايا الاجتماعية والسياسية". درست في الفصل الأول رواية "قنديل أم

ها شم" وقمت بر صد ما فيها من نما ذج للصراع، و در ست في الفصل الثاني رواية"الحي اللاتيني" و ذكرت ما فيها من صور للصراع و خصصت الفصل الأخير لدرا سة رواية"مو سم الهجرة إلى الشمال" وقمت بإبراز ما فيها من ذكر للصراع الحضاري والسيا سي.

ومن المهم أن نذكر هنا هو أنني لم أقم في درا ستي هذه المتواضعة بقراءة و درا سة جميع الروايات العربية التي تعالج قضية الصراع الحضاري و ذلك لأن هذا الأمر يتطلب وقتا طويلا و بحثا مستفيضا وعميقا، وبحثي هذا لا يتسع لذلك. وقد خصصت بحثي المتواضع هذا لدرا سة أهم الروايات العربية في الموضوع وإظهار ما فيها من دلالات و انعكا سات و توجهات و رؤى وأفكار تتعلق بقضية الصراع بين الكيانين الحضاريين الشرقي والغربي.

كلمة الشكروالتقدير:

لايفوتني في هذا المقام وأنا أكتب هذا أن أ شكر الله عزوجل الذي أظلني بظل منه وكرمه و ألهمني التوفيق والسدا د لكتابة هذا البحث. ثم أ شكر والدي الكريمين اللذين رباني صغيرا وبذلا جهو دا في سبيل درا ستي فيارب ارحمهما كما رباني صغيرا .كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى أ ستا ذي الكريم ومشرفي الجليل الذي أ شرف على هذا البحث منذ أن ابتدأ فكرة و نقا شا قصيرا، حتى انتهي إلى صورته، ولم يأل

جهدا في تقديم المساعدة ولم يدخر وسعا في تقديم توجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة. وأشكر جميع أساتذة مركز الدراسات العربية والافريقية بجامعة جواهر لعل نهرو الذين كان لهم نصيب ودور ما في تثقيف ذهني و صقل فكري و إرهاف شعوري، فلهم الشكر الجزيل مني. كما أنني أشكر أصدقاءي و إخواني الذين قدموا لي العون والمساعدة في إعداد هذا البحث . وأخيرا وليس آخرا أعود فأشكر مرة أخرى مشرفي الجليل الأستاذ د. مجيب الرحمن وأدعو الله له الخير والبركة ودوام الصحة والعافية.

الباحث

محمد سليم

جامعة جواهر لال نهرو

20/07/2012

الباب الأول

الأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلدان العربية عند النهضة العربية الحديثة

الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلدان العربية

الفصل الثاني: النهضة العربية الحديثة

الفصل الثالث: تطور الأدب العربي الحديث وظهور الفنون الأدبية الحديثة

الفصل الأول

الأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلدان العربية

بداية النهضة: بدأت النهضة العربية الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر وبالتحديد منذ عام ١٧٩٨م حينما دخل نابليون بونابارت مصر بهدف احتلالها وبسط نفوذه في المنطقة التي كانت لعقود بل لقرون تحت سيطرة الحكم العثماني إلا أن أحلام نابليون وآماله أصيبت بالخيبة وجهوده باءت بالفشل أمام قوة أوربية أخرى ممثلة في بريطانيا العظمى، وأمام صمود المصريين وتضحياتهم وقوتهم وبأسهم. فأخرجوا الفرنسيين من بلادهم إلا أن الاستعمار الأوربي لم يهدأ أواره فعاد واستعمر مصر مثلما استعمر البلدان العربية الأخرى.

العالم العربي قبل النهضة الحديثة:

بلغت الحضارة الإسلامية والعربية أوج مجدها و ذروة كمالها وقمة سيادتها في العصر العباسي إبان حكم الدولة العباسية. فقد امتد نفوذها في قارات مختلفة من العالم وذاع صيتها في العالم كله من أقصاه إلى أقصاه، يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات "عصر الدولة العباسية هو عصر الإسلام الذهبي الذي بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان مالم يبلغوه

من قبل ولا بعد. أثمرت فيه الفنون الإسلامية، وزهت الآداب العربية ونقلت العلوم الأجنبية، ونضج العقل العربي فوجد سبيلا إلى البحث و مجالا للتفكير ..... حتي ثلّ ذلك العرش هلاكو سنة ست وخمسين و ستمائة، ومازالت حضارة الدولة وآدابها تهبط بهبوطها حتى سقطت بسقوطها."[1].

سقوط الخلافة العباسية وأثرها على العالم العربي:

قد أصاب الوطن العربي التدهور والركود والتخلف والجمود إثر سقوط الخلافة العباسية، فذهب ما كان للحضارة العربية من شأن وجاه وما كانت تمتلكه من هيبة وقوة. وبدأ الضعف والانحطاط يسريان إلى الكيان العربي الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي. فتلا ذلك زمن ركدت فيه العقول وجمدت، وضعفت القرائح وفسدت، فعمّ الجهل و شاع الفساد وخاب الأمر و ذهبت الشوكة ولم يبق للحضارة العربية ازدهارها و شأنها وجلالها وفي ذلك يقول د. جميل بيضون في كتابه "تاريخ العرب الحديث": "وبسقوط الدولة، اختل نظام الدولة الوحدوي، وحل مكانه نظام التجزئة، وأصبح بمقدور كل أمير قوي متغلب على جبهة إسلامية أن يستجيز لنفسه لقب الخلافة، وأصاب الاختلال والانهيار الأنظمة كافة من سياسية واجتماعية واقتصادية. بحيث خيل للمسلمين أن العالم على و شك

[1]. الزيات، أحمد حسن- تاريخ الأدب العربي- ص ١٥٣.

الانهيار، صاروا يؤولون كل ظاهرة كتعبير عن سخط الله واتخذوا أدلة مما يحدث في الأقطار.[٢]".

ويكرر الدكتور محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب في كتابهما نفس الأمر: "أصاب الوطن العربي التدهور والركود إثر سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية على أيدي المغول سنة ١٢٥٨م، وأصاب الانهيار في أنظمته السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ الدمار الذي حاق به على أيدي الهجمة المغولية في المشرق والصليبية (الأسبان والبرتغال) في المغرب والأندلس.[٣]".

و إن نظرة سريعة على الأحوال السياسية والإجتماعية والثقافية إثر سقوط الخلافة تخبرنا عما وصل إليه الأمر من تفكك سياسي وضعف اقتصادي وتدهور اجتماعي وركود ثقافي وجمود فكري.

الأوضاع السياسية إثر سقوط الخلافة العباسية:

لقد كان سقوط بغداد سقوط رمز تجمع المسلمين واستيلاء المغول وحكمهم للأجزاء الشرقية للدولة كذلك، ولكن حكم المغول الذي استمر حوالي القرنين (١٢٥٨م-١٤٠١م) قد تنازع في آخر عهده مع التركمان، حيث

---

[٢]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث- ص ١١.
[٣]. عودة، د. محمد عبد الله- و الخطيب، إبراهيم ياسين- تاريخ العرب الحديث- ص ٩.

تمكن أوزون حسن من حكم ايران والعراق، ولكن دولته أ صيبت بالضعف، فا ستولى عليها الصفويون في القرن الخامس عشر[٤].

فالصفويون هم الذين كانوا قد تمكنوا من انتزاع الحكم على العراق من المغول وقاموا بالسيطرة عليه إلا أن حكمهم عليه لم يستمر طويلا فقد "سيطر العثمانيون على شمال العراق، الموصل والمناطق المجاورة بعد انتصار السلطان سليم الأول على الصفويين في معركة "جالديران" (٢٢ محرم سنة ٩٢٠هـ الموافق ٩ آذار سنة ١٥١٤م)."[٥].

ونرى نفس المصير لحق المغول في مصر والشام والجزيرة العربية "فقد تمكن المماليك من هزيمة المغول سنة ٦٥٨هـ الموافق ١٣٦٠م في معركة "عين جالوت" كما كان لهم الفضل في تطهير بلاد الشام من بقايا الصليبين عام ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م ..... إلا أنهم ركزوا على جمع السلطة بأيديهم، مما جعلهم يسيطرون على المراكز السياسية والعسكرية والإدارية في البلاد، وكان السلطان يوزع الولايات بين أتباعه وقواده مما جعل البلاد تتعرض إلى كثير من المؤامرات."[٦].

أما أندلس فقد أصبحت منقسمة إلى عدد من الإمارات المتصارعة مما أدى إلى زوال الحكم العربي الإسلامي في أسبانيا سنة ١٤٩١م بعد أن

---

[٤]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث- ص ١١.
[٥]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث- ص 42.
[٦]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث – ص ١٢.

حكمها المسلمون لثمانية قرون ونرى أن هذا النزاع انتقل إلى المغرب العربي فظهرت الدولة الحفصية في طرابلس وتونس سنة ١٥٥٤م. "أما طرابلس فقد كان يحكمهافي القرن السادس عشر الميلادي (١٥٣٥م) فرسان القديس يوحنا وهم بقايا الصليبين الذين طردوا من فلسطين."[٧].

يتبين لنا مما تقدم بأن وحدة الوطن العربي كانت قد تحطمت وتشتت كلمتها بفعل التجزئة والانقسام السياسي "مما أدي إلى نهاية سيادة الأمة العربية، وهذا أدى بدوره إلى الضعف الذي شجع أمما أخرى أن تهدده بين الحين والآخر، من الشرق والغرب، مما مهد الطريق للعثمانيين المسلمين لاحتلاله وإنقاذه من براثن الغرب. واستطاع العثمانيون المسلمون وبقوتهم الفنية من صد الغزو الصليبي الجديد الوافد من الغرب."[٨].

الأوضاع الاجتماعية:

اضطربت الحياة الاجتماعية في العالم العربي إثر الغزو المغولي لعاصمة الخلافة الإسلامية "بغداد" فانتشر الجوع والفقر في البلاد، وإذا كان المماليك قد وضعوا حدا لتقدم المغول التتار من الناحية العسكرية، فإنهم قد عاشوا في عزلة اجتماعية بسبب استئثارهم بالمناصب القيادية

[٧]. نفس المصدر - ص ١٣.
[٨]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث – ص ١٣.

العسكرية، فقاموا بإنشاء مجتمع إقطاعي تابع للسلطان، همّه في الدرجة الأولى جمع أكبر قسم من الأموال دون التفاعل مع المجتمع المحلي، وهذا أبعدهم عن المشاركة الفعلية مع الجماهير مما جعل المجتمع يشعر بالظلم الواقع عليه[٩].

وعلى الرغم من انتشار الجوع والفقر وتدهور الاقتصاد إلا أننا نرى أن التضامن والتعاضد كان قائما باقيا في المجتمع عند ظهور الغزو الخارجي، "فنرى ارتفاع شعارات الجهاد لمواجهة هذا الغزو، وتمثل ذلك عند الغزو الإسباني والبرتغالي بعد طرد العرب من اسبانيا."[١٠].

ويجدر بنا ان نذكر ما كان لظاهرة التصوف والاهتمام بأمور الدين من أهمية في المجتمع. فقد كان المذهب السني سائدا في البلاد، وكان العلماء يتمتعون بمكانة ممتازة لتوليهم أمور القضايا والافتاء.

وفي ذلك يقول الدكتور محمد عبد الله عودة إبراهيم ياسين الخطيب في كتابهما: "وساءت أحوال الشعب الصحية والاجتماعية والاقتصادية إلا أن العلماء تمتعوا بمكانة عالية، وبقى القضاء في يد الشعب لأنه يستلزم تضلعا في علوم الدين واللغة وانتشرت ظاهرة التصوف وحياة الزهد، وانتعش المذهب السني، وفتحت المدارس والمكتبات ..... أما في

---

[٩]. نفس المصدر- ص ١٥.
[١٠]. نفس المصدر- ص ١٥.

الجزيرة العربية فقد تدهورت الحياة الفكرية، وعم الجهل، واعتدى البدو على قوافل الحجاج، وانتشر الفساد الاجتماعي، وانتشر الجهل في أمور الدين مما مهد إلى ظهور المصلح محمد بن عبد الوهاب."[11].

وهكذا نرى "أن العالم العربي قد شهد تأخرا من الناحية الاجتماعية وهذه نتيجة حتمية تبعا للتمزق السياسي، والسيطرة الناتجة عن عزلة الحكام في المجتمع، ثم تأخر الحياة الاقتصادية بسبب تكريس الحكام جهدهم لامتصاص خيرات الشعب لمصالحهم وتغير الطرق التجارية من المشرق الذي سارع في ذلك التأخر."[12].

العالم العربي تحت الحكم العثماني:

قد ظهر مما تقدم بأن سقوط الخلافة العباسية ترك فراغا واسعا في العالم العربي في جميع نواحيه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وقد حاولت بعض الدول الإسلامية المتمثلة في دولة الصفويين ودولة المماليك والدول الأخرى أن تملأ هذا الفراغ الهائل لكنها لم تستطع ذلك ولم تسيطر على أمور الحكم والسيادة في العالم الاسلامي والعربي مثل ما قامت به الدولة العثمانية من سيطرة وسيادة ودفاع عن الوطن العربي ضد القوى الداخلية والخارجية لعقود بل لقرون.

---

[11]. عودة، د. محمد عبد الله- و الخطيب، إبراهيم ياسين- تاريخ العرب الحديث- ص ١٤-١٥.
[12]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث – ص ١٦.

وما أن قامت الدولة العثمانية ورأت الفرص متاحة لها حتى بدأت توسع في دائرة نفوذها السياسي وحاولت أن تسيطر على أكبر قدر ممكن من الأراضي العربية كما أنها لم يفتها أن توا صل جهودها في إحراز فتوحات إسلامية في ديار أوربية مع اهتمامها البالغ بتوثيق وتوطيد قبضتها على الأراضي التي تفتحها، وقد مرت عمليات التوسع العثماني بمراحل عديدة.

إلا أن المجد والجاه اللذين اكتسبهما العثمانيون لم يكن من الهين لهم أن يحرزوهما، فقد واجهوا تحديات داخلية وخارجية، وقد كان هناك تنافس شديد بينهم و بين الصفويين وبينهم وبين المماليك. وهذا التنافس كان يحدث في الوقت الذي كان الوطن العربي فيه عرضة لأخطار الصليبين والمستعمرين، وهؤلاء المستعمرون كانوا دائما يتربصون بأية قوة إسلامية الدوائر ويكيدون لها دسائس وينصبون لها الشراك، وقد بدأوا يهاجمون بعض المواني في الأقطار الإسلامية لبث نفوذهم. وفي ذلك يقول الدكتور محمد عبد الله عودة:

"ازداد خطر الاسبان والبرتغاليين على الوطن العربي في مطلع القرن السادس عشر، وأصبحت مداخل الخليج العربي والبحر الأحمر تحت رحمة البرتغاليين، في حين كان المغرب العربي يئنّ من ضربات

الاسبان البحرية، في الوقت الذي كان يتنازع المشرق العربي ثلاث قوى إسلامية، هي دولة المماليك التي تضم مصر والشام والجزيرة العربية، دولة الصفويين التي تسطير على العراق، و دولة العثمانيين التي ترقب أحوال الوطن العربي، وتتحين الفرص لاحتلاله."[١٣].

وهكذا نجد أن ثلاث قوى كانت تتنازع الحكم والنفوذ والسيطرة على العالم الإسلامي وفاز العثمانيون في هذه المنافسة لزعامة العالم الاسلامي بحكم قوتهم العسكرية ونظامهم الإداري المتين وبفضل مجهوداتهم الكبيرة في مواجهة و دفع الخطر الصليبي والاستعماري لعقود بل لقرون عديدة فلا غرابة إذن أن نرى دخول الوطن العربي تحت الحكم العثماني دولة إثر دولة طوعا أو كرها. فقد أخضع العثمانيون بلاد الشام لحكمهم سنة ١٥١٦م بعد حرب خاضوها مع المماليك. وفي ذلك يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه "الشرق الإسلامي في العصر الحديث": "وكانت العلاقات في هذه السنوات آخذة في السوء بين المماليك والأتراك الذين كان ساعدهم قد اشتد في آسيا الصغرى، مما جعل الأتراك ينظرون للشام بعين الطمع ويرجئون الضربة إلى حين، حتى إذا سنحت الفرصة سنة ١٥١٧م فقد أسرعوا فغزوا الشام."[١٤].

---

[١٣]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث – ص ٢٣.
[١٤]. حسين، د. مؤنس- الشرق الاسلامي في العصر الحديث- ص ٣١.

كما أن العثمانيين ضموا مصر لحكمهم سنة ١٥١٧م ويقول جورج أنطونيوس في كتابه "يقظة العرب": "إن فتح السلطان سليم لمصر سنة ١٥١٧م هو مرحلة فا صلة من مراحل امتدا د النفو ذ العثماني على العالم العربي،فقد أ صبح السلطان سليم سيد العراق وبلا د الشام بعد انتصاراته الحا سمة على شاه فارس سنة ١٥١٥م."[١٥].

وبعد فتحهم مصر والشام وجه العثمانيون أنظارهم إلى الحجاز وتم لهم خضوع الحجاز بيسر سنة ١٥١٧م.و ضم العثمانيون اليمن لحكمهم سنة ١٥٣٨م إلا أن اليمن ظلت "في فترة خضوعها للحكم العثماني (١٥٣٨-١٦٣٥م) تتنازعها قوى العثمانيين والأئمة الزيدية، فالعثمانيون لم يستطيعوا أن يضموا سيطرة حقيقية على البلا د نتيجة لحركات المقاومة التي تواجههم."[١٦]. كما أن العثمانيين أخضعوا العراق لسيطرتهم بعد أن هزموا الصفويين سنة ١٥٤٦م إلا أن النزا ع الصفوي والعثماني بقى قائما في العراق. وقد قامت الدولة العثمانية بانترا ع المغرب العربي من أيدي الأ سبان سنة ١٥٦٠م بعد أن فازت بإخضا ع المشرق العربي لحكمها[١٧]".

أما مراكش فهي ظلت بعيدة عن متناول العثمانين و حكمهم المبا شر "و ذلك بسبب تنامي قوة الدولة السعدية النا شئة منذ منتصف القرن

[١٥]. انطونيوس، جورج- تاريخ العرب الحديث- ص ٧٨.
[١٦]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث- ص ٤٢.
[١٧]. نفس المصدر- ص ٤٩-٥٠.

السا دس عشر..... هذا بالإضافة إلى ظهور شخصيات قوية حاكمة للمغرب مثل "المنصور السعدي" الذي سعى للمحافظة على ا ستقلال مراكش وعدم الخضوع للسيطرة العثمانية.[١٨]".

هذا هوالوضع السيا سي للوطن العربي في العهد العثماني في القرن السا دس عشر حيث تمكنت الدولة العثمانية من إخضاع معظم البلدان العربية لحكمها وإقامة إمبراطورية كبيرة تقف أمام الأعداء رافعة رأسها إلا أن هذا الوضع لم يكن ليستقر إلى الأبد. فقدكانت الدولة العثمانية دوما تواجه تحديات من المماليك والصفويين في الداخل والدول الأوروبية الصليبية والمستعمرة من الخارج. ولم نكد نصل إلى نهاية القرن السا دس عشر وبداية القرن السابع عشر حتى نرى بروز الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية في البلدان العربية المختلفة من أهمها: المماليك في بغدا د[١٩] ومحاولات الانفصال في بلاد الشام من جانب فخر الدين المعنى المثاني[٢٠] الشيخ ظاهر العمر الزبداني[٢١] وأحمد با شا الجزائر[٢٢].كما أن محمد علي تولى السلطة في مصر عام ١٨٠٥م.

---

[١٨]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث- ص ٥١.
[١٩]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث- ص ٧٠.
[٢٠]. عودة، د. محمد عبدالله- تاريخ العرب الحديث- ص ٤٠.
[٢١]. نفس المصدر- ص ٤٢.
[٢٢]. نفس المصدر- ص ٤٣.

حالة الوطن العربي في القرن التا سع عشر:

دخلت الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن السابع عشر أزمة خطيرة جدا تر د د صداها في ميا دين الحياة الاجتماعية كافة، فقد تدهور الاقتصا د و دب الفسا د في ماكنة الدولة وخرجت الأقاليم عن طاعة الحكومة المركزية وفقد الجيش المتفسخ قدرته القتالية وانحطت الثقافة..... ولقد أفضى تفسخ النظام الاقطاعي العثماني إلى هذه الأزمة إذ جعلت علاقات الإنتاج الاقطاعي تطور القوى المنتجة اللاحق أمرا مستحيلا، فضلا عن تحطيمها للقوى الإنتاجية الموجو دة[٢٣]. وما أن أطل القرن التا سع عشر حتى انتابت الإمبراطورية العثمانية أمراض كثيرة فتحكمت بها العلل و سهل على المنشقين والمستعمرين القيام بحركاتهم داخلها[٢٤].

وأ صبح الوطن العربي في القرن التا سع عشر في حالة من التأخر والضعف والاضمحلال في شتى المجالات السيا سية والاقتصا دية والاجتماعية والفكرية، فاضطرب الأمن، وعمت الفوضى وكثرت عصابات اللصوص، ونهبت القوافل وأ صبح الناس غير آمنين على حياتهم وأرزاقهم. ففي الحياة السيا سية أخذ الحكم العثماني يضعف قليلا قليلا في

---

[٢٣]. لونسكي- تاريخ الاقطار العربية الحديث- ص ٢٧.
[٢٤]. المعوش، د. سالم- صورة الغرب في الرواية العربية- ص ٤٨.

المغرب العربي، فقد أصبحت الجزائر شبه مستقلة منذ مطلع القرن السابع عشر، واستمرت تبعيتها الإسمية للدولة العثمانية إلى أن احتلها الفرنسيون في عام ١٨٣١م. كما ارتبطت تونس إسميا بالدولة العثمانية ..... إلى أن فرضت فرنسا الحماية على البلاد عام ١٨٨٣م أما ليبيا فتأرجحت بين التبعية الإسمية للدولة العثمانية أثناء حكم الأسرة القرمنللية، وعودتها كولاية عثمانية سنة ١٨٣٥ إلي أن استعمرها الإيطاليون سنة ١٩١٢ .م [٢٥]

أما في الحال الاجتماعي، فقد كان تأثيرالحضارة العثمانية ضعيفا، لذلك حافظ العرب على اللغة العربية وعلى تقاليدهم وعاداتهم، إلا أن سوء الوضع الصحي أدى إلى انتشار الأمراض وزيادة عدد الوفيات وتناقص السكان، كما كثرت غارات البدو على القرى والمدن، وانتشرت العصبيات ..... وقد انقسم المجتمع إلى عدد من الطبقات الاجتماعية.[٢٦]".

أما الحياة الثقافية والفكرية فحالها لم يكن يبشر بخير فقد أصابها ما أصاب العالم العربي من تدهور وركود و ضعف و اضمحلال، وبالرغم من أن الأوضاع الفكرية والثقافية كانت متدهورة إلى أقصى درجة تدهورها ومنحطة إلي أحط منزلة انحطاطها إلا أنه بقي بصيص ضئيل من نور يأتي من بعض دور العلم في البلدان العربية لايزال يضئ بعض أجزاء العالم العربي

[25]. عودة، د. محمد عبدالله- تاريخ العرب الحديث- ص ٣٧-٣٨
[٢٦]. عودة، د. محمد عبدالله- تاريخ العرب الحديث- ص ٣٨.

وفي ذلك يقول الدكتور جميل بيضون:"وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك منارات علمية في العلوم الشرعية التي كانت تؤهل العلماء وتحافظ على التراث الاسلامي كـ"الجامع في الأزهر" في القاهرة، و"جامع الزيتونة" في تونس.[٢٧]".

ضعف الدولة العثمانية وبروز غول الاستعمار الأوروبي:

في ظل الأوضاع السياسية المتفككة، والأوضاع الاقتصادية المتدهورة، والحياة الفكرية والثقافية الراكدة ، والأوضاع الاجتماعية المتداعية المنهارة، من الطبيعي أن تضعف أية دولة، ولم تكن الدولة العثمانية بمختلفة عنها. فقد أصابها الانهيار واعتراها الضعف، وهذا لايعني أن ننسى أو نتناسى ما بلغته الدولة العثمانية من المجد والعظمة، ولكن هذا المجد والعظمة ذهبتا عنها حينما دارت الأيام دورتها. يقول الدكتور محمد عبدالله عودة:"بلغت الدولة العثمانية أقصى اتساع لها في القرن السادس عشر واصطدمت بحواجز لم تستطع اجتيازها، ففي الشرق واجه العثمانيون الصفويين فاخترقوا الحدود الإيرانية، ولكنهم لم يستطيعوا الحفاظ على ما اجتاحوه، كما تصدوا للبرتغاليين ومنعوهم من التوغل في مياه البحر الأحمر والخليج العربي، وفي الغرب واجهت العدوان الروسي المستمر للوصول إلى المياه الدافئة كما واجهت النمسا التي كانت طامعة

[٢٧]. بيضون، د. جميل- تاريخ العرب الحديث- ص ٦٨-٦٩

في السيطرة على دول البلقان، وفي القرن الثامن عشر شرعت فرنسا وانكلترا تفتش عن مناطق النفوذ، فاتجهت بأنظارها نحو ممتلكات الدولة العثمانية (الولايات العربية)، فأخذت تغتصب منطقة تلو الأخرى.[٢٨]".

ومن العوامل الهامة التي تسببت في انهيار الدولة العثمانية هي فساد نظام الحكم وفساد الانكشارية والتخلف العلمي والتكنولوجي. يقول الدكتور محمد عبدالله عودة: "عجز العثمانيون عن مجاراة التطور التكنولوجي في أوروبا عكس ما كانوا عليه في القرن الخامس عشر حين اقتبسوا المدفعية وأهملوا التطور الحضاري وتشبثوا بأفكارهم القديمة، وبقيت مدارسهم و معاهدهم التعليمية دون تقدم، ولم ينصرفوا إلى العمل، وانشغلوا بالفتوحات والحروب فعم الجهل والتخلف والفقر، ووفقوا عاجزين أمام متطلبات الحضارة، وفي الوقت الذي أصاب العثمانيين التخلف كما أصاب شعوبهم، بدأ الأوروبيون يأخذون بأسباب التقدم العلمي، وتسخير التكنولوجيا لخدمتهم، فاخترعوا الأسلحة الحديثة وطوروا الصناعة.[٢٩]" و"بنهاية القرن السابع عشر وعلى أثر الهزائم العسكرية والسياسية المتتالية التي منيت بها الدولة العثمانية، بدا واضحا أن الغرب

[٢٨]. عودة، د. محمد عبدالله- تاريخ العرب الحديث- ص ١١٤-١١٥.
[٢٩]. عودة، د. محمد عبدالله- تاريخ العرب الحديث- ص ١١٣

الأوروبي قد سبقها بأشواط بعيدة في مجالات التقدم العسكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي.[٣٠]".

يقول الدكتور أحمد شلبي: "كانت الامبراطورية على صلة بأوروبا منذ تعمقت في القارة، ولكنها عجزت عن تطوير حياتها عسكريا وسياسيا واقتصاديا بالنسبة للدول الأوروبية المحيطة بها، وهذا أبرز عجزها وضعفها.[٣١]".كما أن الحروب الخارجية المستمرة كانت إحدى العوامل لانهيار الدولة "أدت الحروب المستمرة إلى استنزاف القوات العسكرية ثم انهيارها، وتدهوراقتصادها، وانهاك خزينتها سبب الخسارة المستمرة في العدد الحربية بالإضافة إلى قتل أعداد كبيرة من القادة والجنود.[٣٢]".

ويقول الدكتور فيليب حتي: "وكانت هناك عدا عوامل الانحلال والفساد الداخلية، عوامل خارجية أخذت تظهر في القرن الثامن عشر حين شرعت فرنسا وانكلترا والنمسا وروسيا تطلب "منافذ نفوذ" لها، وبدأت كل منها تطمع في الاستيلاء على بعض ممتلكات رجل أوروبا المريض[٣٣]".

---

[٣٠]. عمر عبدالعزيز عمر- محاضرات في تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث- ص ٥٠.
[٣١]. شلبي،أحمد - موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء الخامس- ص ٨٧١.
[٣٢]. عودة، د. محمد عبدالله- تاريخ العرب الحديث- ص ١١٥.
[٣٣]. حتي، فيليب- تاريخ العرب- ص ٨١٣.

أثر ضعف الدولة العثمانية على العالم العربي وتغلغل الاستعمار الأوروبي فيه:

من الحق أن الامبراطورية العثمانية قد قامت بالحفاظ على العالم العربي لعدة قرون نعم فيها السكان بالأمن والسلام والأمان من غارات الأعداء وهجمات الأوروبيين، ولكن لما ضعفت الدولة العثمانية بدأت أوروبا تمارس استعمارها البغيض للبلدان العربية وتحاول بث نفوذها في العالم العربي محاولة منها نهب ثرواتها واستنزاف مواردها واحتلال أراضيها. وفيه يقول الدكتور علي حسّون: "فقد حمى العثمانيون البلاد العربية من مخاطر الغرب وأطماعه الاستعمارية لعدة قرون، وبعد أن ضعفوا بدأت أوروبا باحتلال البلاد العثمانية تدريجيا، وكانت تزداد سيطرتها كلما ضعفت القبضة الإسلامية العثمانية، حتي تمكنت من فرض هيمنها على معظم التراب العربي عشية سقوط الخلافة الإسلامية وزوال السلطنة العثمانية.[٣٤]".

ويقول الدكتور أحمد طربين في كتابه "تاريخ المشرق العربي المعاصر" "أدى اختلال نظم الحكم العثماني الموروثة إلى أمرين: الأول هو زحف الاستعمار الأوروبي إلى أجزاء الدولة العثمانية بما فيها المشرق العربي ومارافقه من التنازع الدولي على امتلاك أقطاره في القرن الماضي

[٣٤]. حسّون، الدكتور على- تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية- ص ٨٤.

وحتى العشرينات من القرن الحالي وما خلفته المطامع الاستعمارية من الأوضاع السياسية والنزعات الإقليمية التي تولدت عن تلك الأوضاع، والثاني هو ظهور حركة الإصلاح والتجديد في الدولة في مطلع القرن التاسع عشر على أساس هدم النظم الاقطاعية وبناء الدولة الحديثة لوقف تدهور الدولة والابقاء على ممتلكاتها ضد المطامع الأوروبية التي سيطرت على أجزاء منها في المشرق والمغرب.[٣٥]"ويقول الدكتور محمد عبدالله عودة: "وترتب على انهيار الحكم العثماني أن بدأت الأطماع الاستعمارية تمتد إلى الولايات العربية، فأخذت الدول الغربية تفكر في اقتسام الوطن العربي، فاستولت فرنسا على الجزائر وتونس في القرن التاسع عشر وبريطانيا على مصر والسودان والجنوب العربي والخليج العربي، وإيطاليا على ليبيا، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فانهارت الدولة العثمانية، واقتسمت بريطانيا وفرنسا العراق وبلاد الشام، وأعطيت فلسطين لليهود.[٣٦]".

[٣٥]. طربين، الدكتور أحمد- تاريخ المشرق العربي المعاصر- ص ٢٠٣.
[٣٦]. عودة، د. محمد عبدالله- تاريخ العرب الحديث- ص ١١٦.

وهكذا نرى أن ضعف الدولة العثمانية أدى إلى زحف الاستعمار الأوروبي إلى البلدان العربية واحتلاله لها وإضعافه للمؤسسات الوطنية القائمة فيها. بدأ هذا الاستعمار يبتلع دولة إثر دولة حتي نري العالم العربي كله يقع فريسة للاستعمار الأوروبي البغيض الذى لم تستطع الدول العربية التخلص منه إلا بعد صراع كبير ونضال طويل. و قصة هذا الصراع والنضال لها صدي واضح وبعيد في الوجدان العربي ولها حضور ملموس في الأدب العربي الحديث.

الفصل الثاني

النهضة العربية الحديثة

قد مر بنا في الفصل السابق ماآلت إليه حال العالم العربي من تخلف و ركود وتدهور وجمود، ورأينا كيف أن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية ساءت بعد سقوط الخلافة العباسية واستمر الحال على ذلك لعدة قرون، والحال يتغير من سوء إلى أسوأ. فنجد البلاد العربية كلها في حلكة حالكة وظلام دامس أللهم إلا ما يتلألأ من نور ضئيل من بعض دور العلم كمثل جامعة الأزهر في مصر. وجاء العهد التركي لكنه لم يستطع أن يصلح ما فسد من أمر الأمة بل انزوت الخلافة العثمانية على نفسها وانطوت على ذاتها تسيطر على زمام الحكم للمسلمين ولاتقوم بإصلاح ما فسد من أمر الاجتماع والاقتصاد والأدب والفلسفة والعلم. فنتج عن ذلك ما رأيناه من تخلف اجتماعي وركود علمي وجمود أدبي وتقوقع ذاتي في كل بلد عربي، فجميع مظاهر الحياة أصيبت بالركود والجمود فلا غرابة إذ نرى الأدب العربي يلفظ أنفاسه الأخيرة "ومن هنا أصبح الأدب في حالة من السقم تقارب الموت. فكانت تمثله نماذج نثرية وشعرية هزلية ليس وراءها أي صدق احساس أو فنية تعبير. بل ليس وراءها حتى تقليد لتلك النماذج الرائعة من أدبنا في عصور الازدهار، وإنما هي نماذج شاحبة مفتعلة غالبا،

تغطي ركاكتها في أكثر الأحيان ألوان من البديع وكثيرا ما تبدو كأكفان ذات ألوان وتطاريز تلف أجداثا وعظاما نخرة[٣٧].

ولكن كما يقال حال لايدوم على منوال. فقد تيقظت البلاد العربية أخيرا وانتفضت انتفاضتها الشهيرة التي أعادت إليها زهوها بنفسها واعتزازها بلغتها وأدبها وثقافتها ولو بعد وقت مديد وعهد بعيد.

يقول محمود تيمور في كتابه: "انتفض الشرق انتفاضته الجديدة، ففتح عينيه على حضارة أوربية ذات نظم في السياسية، وأوضاع في الاجتماع، وحقوق للإنسان، ومذاهب في الفكر، وألوان من الأدب. كانت كلها قد نمت وربت وازدهرت، بفضل كفاح شعبي مرير، و صراع عقلي مديد، وأفانين من التجارب والممارسات، في غضون مئات من السنين والشرق يومئذ منعزل يغط في نومه العميق، تحت ضغط الظروف والملابسات التي أسلمته إلى حكم استبدادي عانى منه ما عانى من ضروب الاضطهاد."[٣٨].

ويرجع تاريخ بداية هذه الانتفاضة الجديدة أو النهضة العربية الحديثة إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وبالتحديد منذ أن قام نابليون بونابرت بالحملة على مصر عام ١٧٩٨م "ومن الممكن تحديد تلك

[٣٧]. هيكل، الدكتور أحمد- تطور الأدب الحديث في مصر- ص ١٨.
[٣٨]. تيمور، محمود- اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة- ص ٦.

البداية، بسنوات الحملة الفرنسية (من سنة ١٧٩٨م إلى ١٨٠٢م) أي بأواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. وليس ذلك باعتبار الحملة الفرنسية خيرا أسدى إلى مصر، بل باعتبارها عملا عدوانيا مدبرا، أثار في مصر ماكمن من عناصر القوة.[٣٩]". فالحملة الفرنسية كانت إيذانا للبلاد العربية لأن تستيقظ من سباتها وتنطلق نحو عالم جديد رحب الآفاق تغير كثيرا وتطور كبيرا.

"ولفتت الحملة المصريين إلى ما أصاب الغربيون من تقدم في العلم، فإن نابليون استقدم معه طائفة من العلماء البارعين المتخصصين في مختلف العلوم التاريخية والطبيعية والرياضية، ولم يلبث حين نزل مصر أن أسس المجمع العلمي المصري على غرار المجمع العلمي الفرنسي، وانبعث العلماء الذين جاءوا معه يدرسون مصر من جميع أطرافها.[٤٠]".

والدكتور أحمد هيكل على حق حين يقول بأن الحملة الفرنسية لم تكن خيرا أسدى إلى مصر بل كانت فعلاخطة مدبرة من قبل الفرنسيين للسيطرة على مصر وتنفيذ مآربهم الاستعمارية في البلدان العربية الأخرى، إلا أنه لايمكن أن يغيب من أذهاننا بأن الحملة الفرنسية قد فتحت عيون المصريين وهزتهم هزات ودفعتهم إلى التفكير في مصيرهم ومصير أمتهم

[٣٩]. هيكل، الدكتور أحمد- تطور الأدب الحديث في مصر- ص ١٣.
[٤٠]. ضيف، شوقي- الأدب العربي المعاصر- ص ١٣.

التي ينتمون إليها وهذا ما حداهم إلى أن يخوضوا معركة شرسة ضد الفرنسيين ويوا صلوا كفاحهم ونضالهم ضده حتى يتمكنوامن إجلاءهم عن مصر عام ١٨٠١م. "وقد ظن المصريون حين أقلعت الحملة عن ديارهم أنهم يبدأون تاريخا جديدا لأمة مجاهدة متحررة، فاختاروا محمد على واليا عليهم، ولكنه لم يجر معهم إلى آخر الشوط الذي كانوا يحلمون به ..... وهو إن كان قد حطم آمال المصريين في هذا الاتجاه فإنه بعثهافي اتجاه آخر إذ عني بالجيش، وأراد أن يكون مثل جيوش الدول الكبرى عدة واستعدادا، فاضطرّ اضطرارا إلى الاستعانة بالأساليب الأوروبية والمعلمين الأوروبيين.[٤١]".

وهكذا نرى أن خروج الفرنسيين لم يكن يعني قطع الربط بين مصر والتقدم العلمي الحديث فقد كانت روح البحث والعلم للعلوم الحديثة والفنون الجديدة نقطة انطلاق نحو عالم رحب ذي آفاق واسعة.

وقد واصل محمد على مجهوداته الكبيرة للنهوض بمصر وإرساء دعائم قوية لإقامة إمبراطورية ضخمة فعنى بالجيش وأرسل البعثات إلى أوربا وفتح المدارس الحربية واستقدم العلماء الأوروبيين للتدريس ثم ظهرت ضرورة إقامة مدارس للترجمة وتدريس اللغات الأجنبية فأقام مدرسة الألسن كما أنه قام بإنشاء مدارس ابتدائية وثانوية عديدة في مدن مختلفة.

[٤١]. ضيف، شوقي- الأدب العربي المعاصر- ص ١٤.

"كل هذا ساعد فيه محمد على ليوجد جيشا قويا لنفسه يحقق به أحلامه في إمبراطورية ضخمة فلم يكن غرضه التعليم من حيث هو أو رد الحياة العلمية الخصبة إلى مصر من حيث هي، وإنما كان غرضه شخصيا لنفسه ولأحلامه، فلما لم تتحقق أحلامه انصرف عن التعليم، وأغلق ابنه عباس المدارس من بعده. ولكن الصلة بين مصر وأوربا أو بين الحياة العقلية المصرية والحياة العقلية الأوربية قامت، ولم يعد من الممكن أن يقضي عليها لسببين هما: أولا وجود طائفة من العلماء المصريين الذين بعثوا إلى أوربا وعادوا ليثبتوا حركة المزج الحديثة بين حياتنا العقلية وحياة الأوربيين، وثانيا مهاجرة كثير من الأوربيين إلينا وتأسيسهم للشركات والمدارس في ديارنا، وزار مصر كثير من أدبائهم وأخذت تؤثر بتاريخها القديم والحديث في أدبهم والأدب الأوربي عامة."[٤٢].

وقد حاول أبناء محمد محمد على وأحفاده أن يوا صلوا جهودهم لتحديث مصر وتعصيرها فاستجاب سعيد وبعده إسماعيل للروح المصرية ودعموا الصلة بأوربا دعما واضحا ذهب بمصر إلى أشواط بعيدة في مجالات الحياة كلها. فعنوا بتطوير الفنون والآداب الحديثة عنايتهم بالعلوم الجديدة، وهكذا سرت روح النهضة العربية في أعضاء الجسد العربي كله، وبدأ الكيان العربي ينهض نهوضا واسعا ويثب وثبات سريعة ويحاول اللحاق

[٤٢]. ضيف، شوقي- الأدب العربي المعاصر- ص١٤-١٥.

بمن سبقه من الأمم والدول إلا أن طريق مصر إلى النهوض بنفسها كانت دوما محفوفة بالمخاطر فما أن بدأت مصر تتنفس الصعداء بعد إجلاءها الفرنسيين اذ دهمها غول الاستعمار البريطاني وبدأ يتغلغل في كيانه "ثم دهانا الاحتلال الانجليز سنة ١٨٨٢م وكل شئ يتحفز للنهوض ويتوثب إلى الرقى، فكأنها ألقيت ماء على نار، أو أقيمت سدا في تيار، كانت الحركة العلمية في أواخر عهد اسماعيل واسعة النطاق والمدارس وافرة العدد واللغة العربية لسان التعليم ولغة التأليف، فأخذ الانجليز منذ اغتصبوا ا لسلطان يقطعون أسباب النهضة، ويسيرون بالتعليم إلى وجهة أخرى[٤٣]. ولم يستطع المصريون التخلص من هذا الغول الاستعماري الجديد إلا بعد جهود بذلوها وتضحيات ضحوا بها ومن ثم استطاعوا أن يستأصلوا شأفة الاستعمار ويجتثوا جذورها ويتخلصوا من براثنها وبالفعل أحرزوا الاستقلال عام ١٩٥٢م.

فكما أن مصر خاضت حروبا مع المستعمرين وكافحتهم لإحراز استقلالها كانت البلاد العربية الأخرى تمر بنفس المصير إذ أن العالم العربي كله كان قصة كفاح مستمر ونضال دائم مع المستعمرين فيما بين الحربين العالمتين وتمخض هذا النضال المستمر عن كسب البلاد العربية كلها الاستقلال في منتصف القرن العشرين الميلادي.

[٤٣]. الزيات، أحمد حسن- تاريخ الأدب العربي- ص ٣٠٩.

وقد تبين لنا فيما سبق بأن العالم العربي كان في غفوة تامة وتخلف كامل.كان يتخبط في دياجير الجهالة والركود ويرسف في أغلال الفساد والجمود. فأصبحت القرائح خامدة والعقول مجدبة وأصبح الأدب العربي كله مجرد كلام مسجوع مزركش ومزخرف لايسمن ولايغنى من الجوع. ولم تتغير الأوضاع إلا إذا ظهرت النهضة العربية الحديثة وتم احتكاك العرب بالغرب. فبدأ العالم العربي يرى ما وصل إليه الأوربيون من تقدم علمى وتطور أدبي وازدهار ثقافي ورقى اجتماعي، ومصر كانت من أوائل الدول العربية التي اتصلت بالغرب وذلك بفعل الحملة الفرنسية على مصر، ومع مصر كانت بلاد الشام هي الدولة العربية الأخرى التي وصلت إليها أنوار الجضارة الأوربية. فقد كانت المدارس التبشيرية تقوم بدور هام في فتح عيون أهل الشام بما كانت تقدم إليهم دروسا في الحضارة والأدب والعلم والفلسفة. فهذان البلدان العربيان ،مصر وبلاد الشام، هما اللتان أحرزتا قصب السبق من بين الدول العربية فيما يتصل ببعث النهضة الحديثة والنهوض بالعالم العربي والمضي قدما لربطه بالعلوم الحديثة والفنون والآداب الجديدة.

عوامل مؤثرة في النهضة الحديثة:

والحق أنه قد لعبت عوامل عديدة دورا كبيرا وفعالا وعملت عملها في بعث هذه النهضة العربية الجديدة، فها هو ذا محمود تيمور يقول في كتابه: "وقد دعمت هذه الانتفاضة الجديدة في ربوع الشرق عنا صر كثيرة، في مقدمتها ثلاثة: الأول ظهور المطبعة التي يسرت للتعليم أن ينتشر، وأتاحت للثقافة أن تشيع، والثاني رعيل البعثات التي عادت من أوربا، تحمل مشاعل العلم والمعرفة في أضوائها الجديدة. والثالث بزوغ الوعي الشعبي الذي ساعد على تكوين الشخصية الوطنية."[٤٤].

فالنهضة العربية الحديثة التي نطلق عليها بهذا الاسم بكل فخار وعظمة لم تكن وليدة يوم أو يومين أو ظهرت في الوجود بين عشية أو ضحاها، بل كانت وراء ظهورها أسباب ووسائل وعوامل ومؤثرات، ولكل منها أهميتها ووزنها فهي التي دفعت الدول العربية إلى النظر في ظروفها وأوضاعها واختيار الطرق التي تمهد لها السبيل إلى الرقى والإزدهار واجتياز العقبات والعوائق التي تقف حجرة عثرة في طريق وصولها إلى منازلها وغاياتها. وقد سنحت لمصر الفرصة، وواتاها الحظ، فبدأت تلعب دورا هاما في قيادة العالم العربي للنهوض به وإقالته من عثرته. والنهضة التي تكون بمثل هذا النطاق الواسع وبهذا الأثر الكبير في الوجدان العربي،

[٤٤]. تيمور، محمود- اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة- ص ٦-٧.

فمن الطبيعي أن تكون هناك عوامل وأسباب عديدة تتضافر وتتطابق وتتعامل فيما بينها ومن ثم تتفجر ينابيع النهضة، ومن العوامل الهامة ما أذكرها فيما يلي:

الطباعة والصحافة (المطابع والصحف):

لم تظهر المطابع في البلاد العربية إلا في القرن الثامن عشر الميلادي وكان أول مطبعة عربية ظهرت فيها هي المطبعة التي أنشئت في حلب في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي "عرفت المطبعة في أوربا منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وطبع الأوربيون بها الكتب العربية أو أخذوا يطبعونها بها منذ القرن السادس عشر الميلادي، عنهم نقلتها تركيا في السابع عشر الميلادي كما نقلتها سوريا في القرن الثامن عشر الميلادي. أما مصر فظلت لاتعرفها حتى كانت حملة نابليون فنقلتها إليها واستخدمتها في منشوراتها.[٤٥]".

ولما جلا الفرنسيون عن مصر غادرت المطبعة مصر فأقام محمد علي أنقاضها المطبعة الأهلية (مطبعة بولاق) سنة ١٨٢١م[٤٦]. وقامت هذه المطبعة بطباعة كتب أدبية قديمة تطبعها وتنشرها بين الجماهير كما أنها كانت تطبع صحيفة "الوقائع المصرية" "ولانتقدم في النصف الثاني من القرن التاسع

[٤٥]. ضيف، شوقي- تاريخ الأدب العربي المعاصر- ص ٣٠.
[٤٦]. الزيات، أحمد حسن- تاريخ الأدب العربي- ص ٣١٤.

عشر الميلادي حتى تكثر المطابع ويكثر طبع الكتب العربيةالقديمة و دواوين الشعر العباسية وغير العباسية وكان لذلك تأثير واسع في حياتنا الأدبية، فإن أدباءنا اطلعوا من هذه الكتب والآثار القديمة على مثل ونماذج في الأدب العربي لم يكونوا يعرفونها"[٤٧]."

وهذه المطابع حقا قد قدمت إلى القراء الجماهير نوادر من الكتب القديمة وبثتها فيهم مما دفع عجلة النهضة الحديثة إلى الأمام وقامت ببث الوعي الشعبي فيما بين الجمهور خير قيام، "على كل حال كانت المطبعة عاملا خطيرا في إيقاظ العقل المصري في أثناء القرن الماضي وتوجيهه إلى مثل جديدة في اللغة والفكر."[٤٨].

أما الصحافة فهي كانت من العوامل المؤثرة الهامة في بعث النهضة الحديثة ولأجل ذلك نرى أساطين النهضة يعنون بها عناية فائقة، وأول جريدة عربية بالمعنى الفني المعروف هي الوقائع المصرية أنشأها الأمير محمد علي سنة ١٨٢٨م بمعاونة الأستاذ رفاعة بك ..... ثم ظهر بعد ذلك في الشام جريدة مرآة الأحوال سنة ١٨٨٥م وهي سياسة يحررها رزق الله حسون الحلبي، وحديقة الأخبار سنة ١٨٥٨م لصاحبها خليل الخوري، والجوائب في تونس سنة ١٨٦١م[٤٩].

---

[٤٧]. ضيف، شوقي- تاريخ الأدب العربي المعاصر- ص ٣٠.
[٤٨]. نفس المصدر- ص ٣٠.
[٤٩]. نفس ا لمصدر- ص ٣٥.

وتلا ذلك عهد ظهرت فيه صحف ومجلات عديدة، يكتب فيها كبار الكتاب وينشرون فيها مقالاتهم وخواطرهم في أسلوب سلس يفهمه عامة الناس. وقد كان للصحافة العربية فضل كبير على الأدب العربي حيث أنها قامت بتبسيط الكتابة العربية وإبعادها من أسلوب السجع والزركشة، وذلك لأنها تخاطب الجمهور كما أنها قطعت أشواطا بعيدة بتمهيدها السبيل أمام الفنون الأدبية الحديثة لأن تظهر و تشيع بين الناس، فكثيرا مانجد القصص والمسرحيات والرواية في بداية عهدها بالأدب العربي تكتب وتنشر في المجلات والصحف ثم تجمع في شكل كتاب فيما بعد، فللصحافة دورها الكبير لاينسى في بعث النهضة الحديثة وبث الوعي الفكري العربي بين الناس ودعوة الجمهور إلى بذل جهود متتالية وخوض ميدان النضال من أجل النهوض بوطنهم وأدبهم وثقافتهم.

الترجمة والإبداع:

رأى العرب حضارة الغرب عن كثب وبدأ اتصالهم بالغرب يشتد يوما بعد يوم بفعل البعثات العلمية وفتح المدارس العلمية والأدبية الحديثة، وقد أخذ العرب قضية مصيرهم بكل جدية وبدأو يحاولون مسايرة الركب الحضاري الغربي المتقدم فوجدوا أنفسهم مضطرين إلى أن ينهلوا من مناهل العلم والمعرفة الغربية ويتزودا منها، وبما أن العلوم والمعارف

العربية كانت في اللغة الأوروبية فمست الحاجة إلى تعلم تلك اللغات وإتقانها مما أدى إلى ظهور مدرسة الألسن وقلم للترجمة والمدارس اللغوية الأخرى التي لعبت دورا هاما في ترجمة الكتب العلمية الغربية أولا ثم ترجمة الكتب الأدبية وكتب الفنون الثقافية والأدبية ثانيا وقد كان لبعض روا د النهضة دور بالغ وكبير في ترجمة هذه الكتب وتقريب علوم الغرب إلى أذهاننا. وبوا سطة هذه الترجمة حدث اللقاح الحضاري في أتم شكله، وقد كان للسوريين فضل كبير على الثقافة العربية الحديثة والأدب الحديث فإنهم كانوا من السابقين إلى الترجمة وبث العلوم الأوربية والثقافية الغربية من خلالها.

"وكان هذا العنصر السوري اللبناني شديد الاتصال بالآداب الأجنبية، فإن البعوث الدينية المسيحية الكاثوليكية والبروتستانية أو بعبارة أخرى الفرنسية والأميريكية و صلته بآدابها و صلا محكما، فلما نزل بديارنا أخذ يعبر عن هذه الصلة بطريق الترجمة، وبذلك كانت مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين الميلادي حقلا واسعا للترجمة ونقل الآداب الغربية، فقد ترجم كثير من القصص والروايات، وترجمت كتب لاتكاد تحصي في الاجتماع والقانون والاقتصاد وجميع فروع الفكر الغربي."[٥٠].

[٥٠]. ضيف، شوقي- تاريخ الأدب العربي المعاصر- ص ١٧٥.

وكانت البعثات العلمية ترجع إلى مصر حاملة لواء العلم والمعرفة وكثيرا ماكانت تساهم في الترجمة والإنتاج "فقد عاد هؤلآء المبعوثون بعلم جديد وعقلية جديدة إلى بلادهم، فعلموا في المدارس وعملوا في المصالح، وترجموا وألفوا وخططوا، وبهذا وضعوا أساس الحركة الثقافية والأدبية الحديثة. كما بدءوا تطوير اللغة بما ترجموا إليها من علوم حديثة، وبما أمدوها به من مصطلحات جديدة، ثم بما عبروا عنه من أفكار وموضوعات منوعة، أكثرها يتصل بالحياة، ويرتبط بموكب الثقافة الإنسانية المتطورة.[٥١]".

ومن المترجمين الأوائل الذين ذاع صيتهم وانتشرت شهرتهم الأستاذ رفاعة الطهطاوي، فمع كونه مترجما قديرا كان مبدعا ومنتجا وكتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" خير شاهد على ذلك. كما أن عثمان جلال من مصر يحتل مكانة عظيمة في بث وعي فكري لغوي و أدبي عن طريق الترجمة. وللمسيحين من بلاد الشام أمثال فارس الشدياق وبطرس البستاني ونصيب اليازجي وغيرهم جهود مشكورة في حقل الترجمة والإبداع. والنصوص المترجمة لم تكن علمية بحتة فقط بل كانت تشتمل على القصص والروايات وبفضل هذه القصص والروايات المترجمة بدأ انتعاش كبير بين الأوساط الأدبية لأن يقوموا بإنتاج مثل تلك القصص

[٥١]. هيكل، أحممد- تطور الأدب الحديث في مصر- ص ٢٧.

والروايات الغربية إنتاجات عربية وعن طريق هذه النصوص الروائية والقصصية المترجمة رأوا فنونا جديدة في الأدب والثقافة، فبدأ يحذون حذوها ويبدعون وينتجون.

وهكذا نرى أن النهضة العربية الحديثة بدأت تؤتي أكلها وتكلل جهود الشخصيات البارزة المؤثرة في النهضة بالنجاح. وأخذ الناس ينشدون قصائد في مدح هؤلآء الرواد وما قاموا به من أمر جليل وخطير في إيقاظ الناس وبث الوعي الثقافي والفكري الشامل بين الشعوب العربية.

الفصل الثالث

تطور الأدب العربي الحديث وظهور الفنون الأدبية الحديثة

قد مضي فيما سبق بأن النهضة العربية الحديثة فتحت عيون العرب عما قد و صل إليه الغرب من تقدم في العلوم والفنون، وما أحرزوه من إنجازات كبيرة في مجالات الحياة كلها. فما عتم العرب عن أفاقوا عن غفوتهم و ا ستيقظوا من سباتهم ووجدوا بلادهم تائهة في غياهب من الظلمة والجهالة،فلم يجدوابدا من أن يجتهدوا في محاولاتهم للحاق بالركب الحضاري الحديث و مسايريته. فبعثت البعثات إلي أوروبا تقرأ في آداب القوم وفنونهم وعلومهم، و ترجع إلي بلادهم حاملة لواء العلم ومشعل المعرفة. وقد أقيمت معاهد تعليمية و مدارس علمية و أدبية، تستقدم علماء وأساتذة أوروبيين يدرسون في هذه المدارس. و جاءت المطابع فطبعت الكتب و عمت الصحف وكل هذا لعب دورا هاما في تربية الأجيال النا شئة و تنشئتها.

ولم نمر طويلا حتي رأينا هذه الجهود قد أثمرت و بدأت تؤتي أكلها، فنبتت في البلاد العربية نبتة صالحة من المفكرين و الأدباء والعلماء بذلت جهودا جبارة في تطوير العلوم والفنون والآداب. و بفضل جهودهم هذه تطور الأدب العربي تطورا ملموسا واضحا، ولم يبق بعد في قوقعته الذاتية

ينكمش و يتقلص بل بدأ يتسع و ينفتح لمستجدات الحياة المعا صرة و تطوراتها و أخذ يستلهم تراثه القديم و يستوحي من ما دته الغزيرة. فانتعش انتعا شا كبيرا ووثب وثبات واضحة بعيدة "وربما كان من ثمار تلك الحركة كذلك،انتعاش اللغة العربية بعض الانتعاش،و تجد دها بعض التجد د، و ذلك لأنها أ صبحت لغة العلوم الحديثة ولغة الصحافة الجديدة وو سيلة الأفكار والنظم الوافدة، فاتسعت للمصطلحات العلمية والفنية، ومالت أكثر إلي الموضوعية، وتخلصت نوعا من الركاكة والتكلف، وربما كانت تلك بداية اللغة العربية الحديثة المتطورة"[٥٢]. و للبعثات فضل كبير علي الأ دب العربي الحديث فهي التي قدمت إليه نما ذج من الأ دب الأوروبي ، وعرفت العالم العربي بما و صلت إليه أوروبا من تطور في آ دابها "كانت البعثات تعو د إلي الوطن العربي متزو دة بما أفا دت من ثقافة أوروبية جديدة ، وبما اطلعت عليه من ألوان الفنون و الآ داب، و تفرغت لترجمة منتخبات من تلك الثقافة الجديدة و الآثار الفنية والعلمية، فأتا حت للجيل العربي النا شئ أن يفتح عليها عينيه، و يملأ عقله و وعيه."[٥٣]

هذا وانتعاش الوعي العربي والفكر الثقافي والحضاري أ دي إلي ا ستيعاب و فهم للمستجدات في الأ دب والفن والعلم والفلسفة مما دفع أ دباءنا إلي نشر هذا الجديد في العالم العربي ولكن بمزاوجة ناجحة و موفقة

---

[٥٢]. هيكل، د-أحمد تطور الأدب الحديث في مصر ص-٢٩

[53]. تيمور، محمود- اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة ص-١٢

بين القديم والجديد، وهذا بدوره أدي إلي ضرورة القراءة والبحث في الأدب العربي القديم واستخراج ما فيه من معان سامية و فلسفة رفيعة عن الحياة وما فيها وأساليب أدبية قوية رفيعة متينة. فكثيرا ما نري منذ بداية النهضة العربية أن المفكرين والأدباء العرب لا يزالون يحثون و يتحمسون لإحياء النافع من الأدب القديم إيمانا منهم بأن ما فيه من المعاني والأساليب والقيم والتعبير الموفق عن الحياة والكون والطبيعة ما يستأهل لأن يقيل الأدب العربي من عثرته، و يبعث فيه روحا جديدة فينهض نهضته الكبري "وكان طبيعيا أن تبدأ النهضة بنشر اللغة و إحياء آدابها القديمة و تعليم الناس أصول التعبير بها، ليمكن بعد ذلك أن تنبعث حياتها قوية، وأن يكون فن الأدب العربي بحيث يحيط بالحياة والوجود ومافيهما من حق وجمال"[٥٤].

فالقديم والجديد كلاهما لعبا دورا هاما في النهوض بالأدب العربي الحديث نهوضا واسعا. فمن ناحية قرأ الناس الأدب العربي القديم، ومن ناحية أخري قرأوا الأدب الأوروبي الحديث فوجدوا فيه ألوانا جديدة لفنون حديثة ورأو فيه تصويرا صادقا لبيئات حديثة و تعبيرا واضحا عن خوالج نفسية مختلجة و عواطف إنسانية صادقة تختلف تماما عما قد و صل إليه الأمر من رداءة و سخف و سطحية في الأدب العربي قبل النهضة الحديثة.

[٥٤]. هيكل،د- محمد حسين، ثورة الأدب ص-٣٠

ولما تبين لهم الأمر و انكشف لهم الخبر عن ذلك، بدأو يحاولون أن يبعثوا أدبهم بعثا جديدا مثلما فعل الأوروبيون بآدابهم .

وللمترجمين و الكتاب الأوائل فضل عظيم علي الأجيال التالية بما ترجموه من كتب للأدب الأوروبي الحديث وما ألفوه من مؤلفات في الأدب العربي الحديث و بفضل كتبهم المترجمة والمنقولة بد أ الأدب العربي يتطور تطورا ويعبّر عن حقائق الحياة والطبيعة والكون في أصدق تعبير وأدقه. يقول الدكتور شوقي ضيف بهذا الشأن "ولم نترجم فقط من الفرنسية أو الإنجليزية، بل ترجمنا بعض عيون الأدب من الألمانية والإيطالية والروسية. وطبيعي أن يتوج هذا المجهود بالثمرة المنتظرة، وهي إقامة أدب مصري إنساني أقامته سواعد شوقي و شكري والعقاد والمازني ولطفي السيد وطه حسين وهيكل وتوفيق الحكيم وغيرهم ممن أحدثوا لنا هذا الأدب، فإذا هو لا يقف عند حدود بيئتنا المصرية وتراثنا القديم، ولا عند البيئة الغربية وتراثها القديم والحديث، بل تتسع هذه البيئة ، فتصبح بيئة إنسانية كبري،تشيع فيها الغايات السامية للأدب الحقيقي، وهي غايات الحق والخيروالجمال"[٥٥].

فالترجمة لعبت دورا كبيرا في النهوض بالأدب العربي الحديث وعن طريقها عثر أدباءنا علي الأدب الحديث و فنونه الجديدة. فكثيرا ما نري

[٥٥]. ضيف،شوقي-الأدب العربي المعاصر في مصرص-٢٩

الأ دب الأوروبي يترجم إلي اللغة العربية ويقرأه الناس ويلذون له، ولم ننتظر طويلا حتي وجدنا أ دباءنا يضارعون الأ دباء الغرب في كتابة أ دب رفيع ذي مستوي كبير وفنية عظيمة و يكتبون في الفنون الأ دبية الحديثة من الشعر والنثر كليهما.

وقد ظهر من بيننا أ دباء كبار و شعراء فحول و احتلوا مكانة مرموقة في الأ دب العربي الحديث،وقد صار بعضهم روا دا يشار إليهم بالبنان ولا يختلف في دورهم الريا دي للنهوض بالأ دب العربي الحديث اثنان. فقد قاموا بخدمة الأ دب العربي خير قيام وتركوا وراءهم تراثا أ دبيا غزيرا. وقد تنوعت إنتاجاتهم الأ دبية في فنون الشعر والنثر كليهما.

تطور الشعر العربي الحديث:

في مجال الشعر نجد أ سماء لكبار الشعراء تتلألأ في سماء الشعر العربي الحديث.فالبارو دي وحافظ إبراهيم وأحمد شوقي وخليل مطران وغيرهم من الشعراء نفخوافي الشعرالعربي روحا جديدة وقربوه من حياة الشعب و صورا بوا سطته آلامهم وآمالهم تصويرارائعا، وحقا يعتبر البارو دي رائد الشعر العربي الحديث"لقد بعث البارو دي الشعر العربي، وأزاح عنه الأكفان التي حوته مئات السنين، وحجبت روائعه عن الأ سماع و الأ ذواق، وفتح الطريق وا سعا عريضا أمام الراغبين في ارتيا ده، وتكملة المشوار بعده،

و دفعه إلي الأمام..... و بعد البارو دي جاءت المدر سة التي جد دت شباب الشعر العربي حقا، مضت به خطوات أكبر، سارت في طريق البارو دي نفسه، ولكنها أوغلت في سيرها حتي أ صبح إبداعها تجديدا، بحكم الثقافة التي كان عليها أ صحابها، والمناخ الفكري والنفسي الذي تنفسه الشعراء علي أيامها"[٥٦] ولم يبق الشعر للطبقة الأر ستقراطية وإنما صار للجمهور. "أما عند أ صحاب النهضة والإحياء فقد تحول الشعر إلي الشعب ولم يعد مقصورا علي فئة بعينها لامن الأمراء ولا من بطانتهم، بل إن أمراءه الجد د كانوا يهتمون بالشعب وبرضاه تحت تأثير ما أ صاب حياتنا من تطور عن طريق الأفكار الديموقراطية وما عرفناه من فكرة حقوق الشعب السيا سية وما يماثلها"[٥٧].

ثم نشأت بعد ذلك أجيال قرأت الأ دب العربي القديم كما أنها قرأت الأ دب الأوروبي الحديث و ر أت فيه ما رأت من دعوة إلي التحرر من القيو د والتقاليد البالية، فبدأو يدعون إلي التحرر من الأوزان التقليدية، وقد ظهرت جماعة الديوان فدعت دعوة حارة إلي التحرر من الروا سب التقليدية"كانت هذه الجماعة طليعة جيل جديد جاء بعد شوقي وحافظ ومطران ومقدمة لجماعة أبولو،كان متسلحا بالثقافة الغربية، وا سع

[56] .مكي،دكتور الطاهر أحمد- الشعر العربي المعاصر روائعه و مدخل لقراءته ص-١١٣
[٥٧] .ضيف،شوقي-الأدب العربي المعاصر في مصرص-٥٠

الأفق،متفتحا للجديد"[٥٨] و ظهرت طبقة من الشعراء تقرض الشعر متأثرة بالنزعات الأدبية الحديثة من رومانسية و رمزية و سريالية و غيرها من النزعات الحديثة. ومن الشعراء الفحول في العصرالحديث تأتي أسماء العقاد والمازني و شكري و أحمد زكي أبو شادي وإبراهيم ناجي و أحمد محرم و غيرهم من الشعراء،"ونحن حين نذكر" شوقي" و" حافظ" و"مطران" و" صبري" و"بشارة الخوري" و"الزهاويط و"معروف" و"عبد الرحمان شكري" و"العقاد" و"المازني" وأضرابهم ،لا ننسي أنهم صفوة من الشعراء أتيحت لهم ألوان ثقافية متشعبة، بفضل ما قرأوا في العربية من تراث الأدب العربي، ومما ترجم من نتاج الفكر الأوروبي، ومنهم من قرأ في غير العربية ذلك النتاج الفكري، فارتفع بذلك مستواهم العقلي، ونضجت أذواقهم الأدبية، وظهر أثر هذا النضج والسمو فيماطرقوا من موضوعات، وما سبحوا فيه من أخيلة، وما نظموامن قصيد."[٥٩]

تطور النثر العربي الحديث:

كما أن الشعر العربي الحديث شهد تطورا واسعا في العصر الحديث، كذلك شهده النثر الحديث، فقد بدأ يتطور منذ بداية النهضة الحديثة. فإن الكتب العلمية التي كانت تترجم إلي اللغة العربية إنما هي

[58] .قبش، أحمد- تاريخ الشعر العربي الحديث ص-٢٢٣

[59] . تيمور، محمود- اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة ص٢٥- ٢٦

كانت غالبا تترجم إلي النثر و إن كان ذلك النثر مسجوعا متكلفا. ولكن لما طال بنا زمان احتكاكنا مع الغرب و اتصالنا به ثقافيا و أدبيا وجدنا نثرنا مغلولا و مشدودا بعقال، فحاولنا الفكاك منه و الانعتاق من أغلال السجع والبديع و لكن لم نستطع ذلك إلا بعد جهد جهيد و أمد مديد. ومن المحاولات الأولي التي قام بها بعض أدباءنا هي ترجمة الآداب الأوروبية إلي الأدب العربي مما أدت إلي خلق وعي شامل بين الكتاب لإصلاح ما فسد من أسلوب النثر العربي و تحريره من القيود البلاغية والبيانية.

وحينما نقرأ ما ألفه رائد النهضة الحديثة الأستاذ رفاعة الطهطاوي و أصحابه من مؤلفات، و ما ترجموه من كتب أوروبية، كان ذلك كله في الغالب في أسلوب مسجوع متكلف. وفي ذلك يقول الدكتور محمد أحمد العزب:"ولكن رفاعة الطهطاوي العائد من الغرب، يحمل إلي التعبير النثري بعض شعاعات خافتة في هذا الظلام المخيف، و ذلك من خلال كتابه (تخليض الإبريز في تلخيص باريز) فهو يترسل فيه بعض الشئ.....ومهما يكن من شئ فإن هذه المدرسة النثرية الأولي في تاريخ النهضة الحديثة لم تحقق للنثر العربي إنجازا يمكن أن يكون مرحلة انتقال وتطور بارزة، لأنها لم تشأ أن تواجه المتلقي مواجهة مباشرة، وإنما واجهته من وراء أستار بلاغية مصنوعة، ولم تشأ كذلك أن تعبر عن هموم الطبقات الشعبية الكادحة، و إنما حصرت نفسها في التعبير عن مثل لفظته فارغة انتهت بها إلي هذا

الجمود الرهيب"[60] ومع مرور الزمن و تكثيف و تعميق اتصالنا بالغرب و آدابه و قراءتنا لتراثنا القديم و الاستفادة منه، وجدنا أدبنا بل نثرنا يتحرر من السجع و التكلف و بدأت أذواقنا تستحسن الأسلوب المرسل السلس و أخذ الكتاب العرب يختارون هذا الأسلوب و يفضلونه علي ما سواه.

هذا من ناحية الأسلوب، أما من ناحية المضمون فنجد أن الفنون النثرية الجديدة بدأت تدخل في أدبنا العربي و تختار مكانها المناسب منه. فظهر فن القصص و فن المسرحية وفن الرواية و فن المقالة والخطابة،و لم يمض بنا وقت طويل حتي وجدنا روايات رائعة و مسرحيات قيمة و قصصا شهيرة في الأدب العربي الحديث،"ولكننا ما نكاد نخطو خطوات بعد مطلع القرن (يعني القرن العشرين)حتى تفجأنا تغييرات جذرية في نوع الإبداع النثري و كمه علي السواء، فقد استوت القصة علي ساقها،واحتل المسرح موقعه الحقيقي علي خارطة الإبداع العربي، واستحالت المقالة إلي شكل أثير يؤلف أروع ما خلفه الجيل من كتب كاملة و أعمال عظيمة و دخل مجال الإبداع لفيف من العبقريات العربية الرائدة من أمثال: طه حسين، والعقاد، وهيكل، والمازني، وأحمد أمين، وسلامة موسى، وتوفيق الحكيم، وميخائيل نعيمة، وجبران، والريحاني.....وغيرهم من أولئك الرواد الذين قادوا حركة النثر العربي المعاصر في اتجاهها الحضاري الحديث

[60] .العزب،الدكتور محمد أحمد- عن اللغة و الأدب والنقد (رؤية تاريخية و رؤية فنية) ص ١٦٢-١٦٣

علي ضوء ما أفا دوه من ا حتكاكهم الحميم بثقافات العالم كله، شرقه وغربه شماله و جنوبه."[٦١]

كما وجدنا للشعر العربي الحديث روا ده نجد كذلك للنثر العربي الحديث روا ده. فكل من رفاعة الطهطاوي ولطفي المنفلوطي وطه حسين - الذي يعرف بعميد الأ دب العربي الحديث- لعبوا دورهم الهام في تطوير الأ دب العربي من خلال ماقدموا من كتب وروايات و كتب في اللغة والأ دب والنقد. وهذا هو جبران خليل جبران و صحابه من أ دب المهجر يقدمون أ دبا قيما، و إنتاجاتهم الأ دبية من أروع ما عرفت في الأ دب العربي الحديث. و جبران خليل جبران ا شتهر برواياته التاريخية، و عباس محمو د العقا د ذاعت شهرته بعبقرياته و كتبه في النقد و الشعر. ومن الجدير بالذكر بأننا لا نستطيع نكران فضل الأ ستا ذ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وتلاميذهما في بث الفكر العربي المعا صر و خلق نثر أ دبي رائع.

وكلما يأتي ذكر الأ دب الحديث نجد أ سماء أحمد حسن الزيات و محمو د تيمور و توفيق الحكيم ونجيب محفوظ و يو سف إ دريس و غيرهم الكثيرون من الأ دباء الأفاضل الذين لهم خدمات جبارة في خلق نثر أ دبي حديث يستحق الثناء والتقدير. وحقا انتهج من جاء بعدهم منهجهم و سلك

[61]. العزب،الدكتور محمد أحمد- عن اللغة و الأدب والنقد (رؤية تاريخية و رؤية فنية) ص ١٦٦-١٦٧

مسلكهم و حذا حذوهم فكتبو ا ما كتبوا في ذلك النثر السلس المرسل فبرعوا و فاقوا.

ومن الملاحظ أن الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة. فقد كان هناك دائما بيننا من كانوا يدعون إلي التجديد والتحديث كاملا، والحق أنه قد جانبهم الصواب حيث نسوا ما للقديم الموروث من أهمية و مكانة في الأ دب العربي. و تعارضهم جماعة من الأ دباء تدعو إلي القديم كاملا فاختارت أ سلوب المقامات و ألفت بعض الكتب علي منوالها إلا أن محاولاتها هذه باءت بالفشل و نجحت محاولات أ دباءنا الكبار وروا د أ دبنا الحديث الذين دعوا إلي التوفيق بين القديم والحديث. فوفقوا في محاولاتهم و تكللت جهو دهم بالنجاح. ومن ثم ظهر بيننا أ دب عربي مليئ بالتيارات الفكرية المختلفة و متنوع في فنونه النثرية العديدة و غزير في إنتاجاته الأ دبية الكثيرة.

الباب الثاني

تجسيد الرواية العربية الحديثة لمسألة الصراع بين الشرق والغرب فيما يتعلق بالقضايا السيا سية والاجتماعية

الفصل الأول: إرها صات عن الصراع بين الشرق والغرب في النصوص الروائية الأولي

الفصل الثاني: قضيةالصراع بين الشرق والغرب في الروايةالعربية:القضايا الاجتماعية والسيا سية

الفصل الثالث: هل الدعوة في الرواية العربية إلى صدام حتمي أم الدعوة إلى التصالح أيضا؟

الفصل الأول

إرها صات عن الصراع بين الشرق والغرب في النصوص الروائية الأولي

إن ثنائية الشرق والغرب هي إحدى الثنائيات الفكر ية و السيا سية والأيدولوجية المتداولة في الخطاب الفكري الحديث. وهي إحدى القضايا الهامة التي تناولها الخطاب العربي الحديث و ناقشها مناقشة كبيرة و بحثها بحثا مستفيضا. ولا عجب في ذلك إذا أخذنا في الاعتبار بروز الوعي العربي الحديث وفهمه لواقعه وواقع أمته التي كانت لقرون عديدة في ظلمة وجهالة وركو د ، والتي لما بدأت تستيقظ من سباتها وجدت نفسها مصطدمة بالا ستعمار الغربي الجاثم علي صدرها والذى كان ينخر في كيانها كما ينخر السوس في الخشبة و يحاول أن يفتك بها، وفي ظل هذا الوضع السيا سي القاتم الخطير خرج من بيننا من حاولوا تحرير الشرق من براثن الا ستعمار سيا سيا و ثقافيا، و بناء صرح الشرق السيا سي والثقافي والحضاري من جديد.

فمنذ بداية النهضة العربية الحديثة نري المثقفين العرب يحاولون النهوض بالعالم العربي من جميع نواحيه و ذلك عن طريق احتكاكهم مع الغرب ومحاولاتهم للتسلح بنفس الأ سلحة التي تسلح بها الغرب اعتقا دا

منهم بأن هذه هي الطريقة الفضلي التي يستطيعون بها النهوض بالعالم العربي والشرقي. ومن الملاحظ أنه في الوقت الذي كانوا يتفاعلون مع الغرب أو يذهبون إلي دياره يدرسون فيها، ففي نفس الوقت كانت بلادهم تناضل من أجل حريتها و استقلالها. فلم يغب عن أذهان المفكرين والمثقفين العرب الأوائل بأن بلادهم هي في صراع و نضال مستمرين مع المستعمر الغربي الذي مارس ظلما وعدوانا ضد الشعوب العربية والشرقية. ولعل هذا هو السبب الذي دفع كثيرا من المفكرين العرب- سواء أ كانوا ممن الذين درسوا في أوروبا وتثقفوا فيها أو الذين درسوا وتثقفوا في بلادهم-إلي أن يخوضوا معركة النضال والصراع ضد الاستعمار من أجل الاستقلال والحرية إن لم تكن بالسيوف فبالأقلام. فظهر من بيننا أدب عربي غزير يتناول قضية الاستعمار و يتكلم عن بأس و صمود الشرقيين في تحرير البلاد من الاستعمار ويتحدث عما قد تمخض عنه الاستعمار من تداعيات علي العالم الشرقي و توسيع الفجوة بين العالمين.

وقد عالج الأدب العربي هذه القضية بكل وضوح وجلاء في فنونه الأدبية المختلفة إلا أن الفن الروائي الحديث هو من أوفر الفنون الأدبية الحديثة حظا من هذا الموضوع ومعالجته. فمنذ بداية ظهور وبلورة الخطاب الفكري الحديث نري أن قضية الصراع بين الشرق والغرب قد شغلت بال المثقفين العرب فعالجوها في مؤلفاتهم وفيما كتبوه من روايات و إن كانت

هي في أول نشأتها في العالم العربي ضعيفة فنيا إلا أن النقا د و الأ دباء العرب قد أطلقوا عليها ا سم الروايات تجاوزا، و سنحاول في هذا الفصل ر صد النما ذج التي ترسم لنا صورا عن الصراع بين الشرق والغرب. و لنا مبرراتنا لما أطلقنا عليه بإرها صات عن الصراع في النصوص الروائية الأولي. فهذه الروايات ما كتبها أ صحابها ليعالجوا فيها قضية الصراع بين الشرق والغرب وحدها خا صة و يركزوا عليها و إنما جاء الحديث عن الصراع فيها مبثوثة ومنتشرة في صفحاتها، ومن ناحية أخري هي ليست روايات بمعناها الفني الحديث، فهي ضعيفة من حيث الفن.

ومهما يكن من الأمر فإن قضية الصراع الحضاري قد شغلت بال المثقفين العرب منذ أول يوم احتكاكهم مع الغرب وانفتاحهم علي حضارته. ومن الملاحظ أنه كلما كان احتكاك المثقفين العرب مع الغرب يشتد و اتصالهم به يقوي، يز دا دون حنقا عليه و ا شمئزازا من حضارته وحقدا على أعماله العدوانية و ذلك لأن المترسبات الفكرية والوجدانية العربية ضد الا ستعمار و ممار ساته تأتي في أ ذهانهم فيبدأون ينتقدون الغرب مثلما يعبرون عن إعجابهم به و اندها شهم بحضارته.

والجدير بالذكر أن كثيرا من الروائين العرب الذين كتبوا عن الصراع الحضاري بكثافة و تركيز و اهتمام كانوا قد رأو الغرب عن كثب و اكتشفوه

و درسوا فيه أو ذهبوا إليه في مهام دبلوما سية و سيا سية. فإن دل هذا علي شئ فإنما يدل على أن ما كان يكتبه المثقفون العرب كان فيه طابع التجارب الذاتية و الحقيقة الواقعة وانعكاس لها و قد ذهب بعض الباحثين إلي القول بأن روايات بعضهم إنما هي سير ذاتية لهم لما فيها من وقائع و أحداث تتشابه أحداث حياتهم، مثلا توفيق الحكيم في روايته"عصفورمن الشرق"و يحيى حقي في روايته "قنديل أم هاشم".فهذان الكاتبان و غيرهما من الكتاب قد شاهدوا الغرب ومعطياته الحضارية عن قرب وحاولوا أن يعبروا عن أفكارهم ورؤاهم تجاهه في رواياتهم.

فالقول بأن قضية الصراع الحضاري قد شغلت بال المثقفين والروائيين العرب نجد له مبرراته في أعمال الروائيين والكتاب أنفسهم كما أشار إلي ذلك محمد نجيب التلاوي في كتابه:"وفي الرواية العربية كانت قضية المصير الحضاري (الصراع مع الآخر)هي الشغل الشاغل للمثقف العربي-ومن ثم الروائي العربي-عبر فترات المواجهة المختلفة: الآخرمن منظور العزلة كمحاولة الطهطاوي وعلي مبارك"[٦٢].ويقول الدكتور نبيل سليمان في كتابه"وعي الذات والعالم":"بالنسبة للرواية العربية ومنذ محاولاتها الجنينة في القرن الماضي أو مطلع هذالقرن –حسبما يرى الدارسون لظهورها – سعت كي تكون مجلى لتلك المسألة، بما تعنيه من

[62].الذات والمهماز د-محمد نجيب التلاوي-ص ٢٧-٢٨

ا ستيعاء لأوروبا وللذات القومية هكذا تواتر انتاج الطهطاوي، حسن العطار، علي مبارك، أحمد فارس الشدياق، فرح أنطون، سليمان الفيضي، محمد المويلحي... ذلك الانتاج الذي ناس بين أدب الرحلات و شبه الحديث الديني الروائي، ورا د للنهوض الأ دبي المتمثل بتجديد و سيا دة النثر عبر فنونه الحديثة: المسرح والقصة والرواية."[٦٣]

فإ ذا كانت قضية الصراع بين الشرق والغرب هي الشغل الشاغل للمثقفين العرب عبر فترات مختلفة من التاريخ العربي الحديث فهذا يعني بأنه كان هناك في كل فترة كتاب ومثقفون كتبوا عنها و تمثلوها في كتبهم. و سوف نحاول في الصفحات التالية تتبع ملامح الغرب في المحاولات الروائية العربية الأولي و تناولها لقضية الصراع الحضاري. فها هو رفاعة رافع الطهطاوي رائد النهضة العربية الحديثة أول من حاول سرد صور الآخر في كتابه"تخليص الإبريز في تلخيص باريز" وفي ذلك يقول الدكتورمحمد نجيب التلاوي "وهو أول عمل يقترب من الآخر مثاقفة..إلا أنه تحول إلي دهشة و ا ستغراب،وهو أمر طبيعي بعد عزلة المثقفين والمنطقة العربية بسبب القطيعة(الإبستمولوجية)المعرفية للعرب عن أ صولهم و تراثهم..ثم عدم اتصالهم بالآخر..كانت محاولة (الطهطاوي) بداية مبكرة للذات في فضاء الآخر...ثم بدأ الآخر رحلته الا ستعمارية

[63].وعي الذات والعالم: دراسات في الرواية العربية-نبيل سليمان –ص،٥-٦

نحونا..ثم بدأ الآخر الاستعماري يتشكل في صور جديدة."[٦٤] والأستاذ رفاعة رافع الطهطاوي كان ثمرة مهمة و تمهيدية في حقل التزاوج بين الشرق والغرب،في وقت كان المجتمع العربي ينهض من سبات طويل[٦٥] وهناك سؤال مهم لايزال يطرح في الساحة الأدبية ،هل كتاب رفاعة الطهطاوي رواية أم لا؟ وهذا الأمر كان دائما مثيرا للجدل والنقاش فيما بين الأدباء والنقاد وفي ذلك يقول الدكتور سالم المعوش"إن السؤال حول كون الكتاب رواية أم لا،يلقي شرعيته في جمهرة الباحثين الذين ذهبوا مذاهب مختلفة في تصنيفه الأدبي..إذ أن المراجع التي بين أيدينا ابتداء من مؤلفات علي مبارك والشدياق وفرح أنطون وجرجي زيدان..و صولا إلي الباحثين الجدد أمثال الدكتور عبد المحسن طه بدر ومحمد علي الخطيب وعبد الرحمان ياغي و سواهم..هذه المراجع علي اختلاف مقاصدها تتفق علي أن الكتاب "رواية حضارية تعليمية"...وعلي الرغم من ذلك فإن كتاب رفاعة يسمي تجوزا رواية وأن العنصر الروائي فيه ضعيف لكنه لا يعدم وجوده فيه."[٦٦]

ويقدم رفاعة الطهطاوي في هذا الكتاب صورا عن الغرب وحضارته وعلومه، كما يعرض فيه لمعالم أوروبا الثقافية والعمرانية وفي ذلك يقول

---

[64]. الذات والمهماز د-محمد نجيب التلاوي-ص -١١-١٢

[65].صورة الغرب في الرواية العربية- د.سالم المعوش ص، ١٧٨

[66].نفس المصدر – ص ١٨٠

الدكتور جمال مباركي"وهو كتاب موضوعه الغرب يحتوي صورا عديدة من العلوم الغربية لتقدم الغرب وتفوقه علي الشرق، يغلب عليه طابع التقارير العلمية والاجتماعية، والرحلة وفن المقالة، والهدف التعليمي والتثقيفي"[٦٧] وبهذا الكتاب لعب رفاعة الطهطاوي دورا هاما في تقديم أفكاره عن الغرب وعلومه وفنونه وحضارته، يقول الدكتور سالم المعوش"إن ما يهم من الكتاب ما قامت به تلك المحاولة الروائية التمهيدية من دور في تقديم الفكر والحياة الغربيين-حيث كان الكاتب يقوم بعمل عدة رواد دفعة واحدة(أعضاء البعثة) وكأنه يفتح لكل رائد وفي كل موضوع بداية الطريق."[٦٨] إن القارئ لكتاب رفاعة يلمس فيه شذرات متفرقة ومنظمة حول قضايا شتى تأتي في طليعتها من حيث الأهمية، قضية بناء مصر الحديثة وقضية التغيير الاجتماعي و قضية المرأة والتربية.....وبث مفاهيم سياسية جديدة حول العدل والمساواة و سواهامن الحقوق المدنية والسياسية."[٦٩]

وعلي الرغم من احتواء الكتاب علي موضوعات عديدة تطرق إليها رفاعة الطهطاوي إلا أننا نجد في الكتاب محاولات لعقد مقارنات بين الشرق والغرب و فيه كلام عن المسلمات الحضارية الجديدة التي حاول رفاعة الطهطاوي التقاطها أثناء وجوده في باريس،كما ينظر الطهطاوي إلي الغرب

[67] .الغرب في الرواية العربية الحديثة.د-جمال مباركي ص-١١٨
[68] .صورة الغرب في الرواية العربية د-سالم المعوش ص ١٨١
[69] .نفس المصدر ص ١٨٤

من منظور التفوق التكنولوجي والمدنية الأوروبية وقد انعكست هذه النظرة من خلال انبهاره بأنواع من العلوم والفنون والصناعات والتطورات الجديدة إلا أنه عند الحديث عن القضايا الاجتماعية والدينية لم يفته أن يذكر ما يعوزه الغرب ويحتاج إليه فهوعند الحديث عن المرأة الغربية يمضي في تعداد خصائص المرأة الفرنسية بشكل واسع، الأمر الذي يشكل مدخلا رحبا للتداول والنقاش حول هذا الموضوع.[٧٠] إلا أن تعداده لخصائص المرأة الغربية لم يمنعه من أن يكون موضوعيا في كلامه فهو يذكر ما لنساء باريس من عيوب مثلما يذكر ما لهن من خصائص وخصال فها هو يقول"ثم إن الرجال عندهم عبيد النساء وتحت أمرهن سواء كن جميلات أم لا، قال بعضهم إن النساء عند الهمل معدات للذبح، وعند بلاد الشرق كأمتعة البيوت، وعند الإفرنج كالصغار المدلعين....قلة عفاف كثير من نساءهم ...وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الإسلام من الغيرة بمثل المصاحبة والملاعبة والمسايرة"[٧١].

هذا عن المرأة الغربية، أما عن الدين و طقوسه في أوروبا فهو يذكر درجات القسسيين الأوروبيين و يتكلم عما هم يؤدونه من واجبات في بلادهم وعند الحديث عن عدم زواجهم يقول"ومن الخصال العادية المهولة ببلاد الفرنسيين أو بلاد"القاثوليقية" عدم الإذن بزواج القسسيين

[70] . نفس المصدر ص ١٨٥

[71] .تخليص الإبريز في تلخيص باريز. الطهطاوي-رفاعة رافع- ص ٨٧-٨٨

علي اختلاف مراتبهم و درجاتهم، فإن عدم زواجهم يزيدهم فسقا علي فسقهم"[٧٢]

وهكذا نري أن الأستاذ رفاعة رافع الطهطاوي يذكر الاختلاف السائد بين العالمين العربي والغربي وفي ذلك يقول إبراهيم أبو لغد في كتابه: (Arab Rediscovery of Europe: A Study in Cultural Encounters) "وفي هذه المحاولات الأولي من جانب رفاعة الطهطاوي نجد أول إشارة للاختلاف القائم بين الشرق الروحي والغرب المادي، وفي أعماله الأخرى يصف الطهطاوي بأنهم يحبون المادية خلافا للعرب تماما."[٧٣]

وبعد رفاعة الطهطاوي نجد علي مبارك يقدم في روايته التعليمية"علم الدين" حوارا بين الشرق والغرب وقد تطرق في كتابه هذا إلي القضايا الاجتماعية والسياسية و كتب عن الوجه الآخر لأوروبا المتحضرة ألاهو الوجه المستعمرالغاصب والناهب كما أنه تكلم عن الفوارق الأساسية بين الشرق والغرب و ذلك في صورة عقد المقارنات بين أوضاع العالمين السياسية والاجتماعية وعلي سبيل المثال قضية المرأة وأوضاعها والاستعمار الأوروبي وتداعياته علي العالم الشرقي ويقول الدكتور سالم

---

[72] .نفس المصدر- ص ١٧٤

[73] . Arab rediscovery of Europe: A study in cultural encounters-Ibrahim Abu-Lughod-page:153

المعوش بهذالصدد:"إذا في "علم الدين"عدة مواقف من المرأة... بل هي مناقشة واضحة يديرها علي مبارك فيعرض آراء الطرفين بدقة وإن كان يغالي بعرض محاسن الاختلاط وإعطاء حالات متعددة عن المرأة الغربية. فإنه لا ينحط بها...بل يراها في إطارها التطورى العام..عنصرا مهما في المجتمع...علي الشرقيين التنبه له والتعامل معه علي أساس إنساني يحدد الحقوق والواجبات...لكنه من ناحية ثانية شرقي ينتصر للشرق و قيمه ولا يستطيع كما يبدو إجراء ما يبغيه علي لسان شخصية عربية مثل "علم الدين" و"برهان الدين"...لذلك كان هربه إلي الغرب...إلي الإنكليزي يعرض علي لسانه، و بدقة متناهية تفوق أحيانا منطق الشخصيات العربية في الدفاع عن موقف الإنسان الشرقي من المرأة.....وثمة قضية أخرى تظهر أحيانا وتختفي أحيانا أخرى..لكنها تبقى بارزة ناتئة تنبئ عن مواقف الغرب الاستعماري، الأمر الذي أدى إلي سيطرته علي جزء كبيرمن العالم، وبالتالي أدي إلي تراكم الثروات في يد شعوبه و مؤسساته الاحتكارية."[٧٤]

وهكذا نجد في "علم الدين" محاولات علي مبارك لعقد مقارنات بين الشرق والغرب و ذكر الاستعمار وما جر ذلك من ويلات علي العالم الشرقي المستعمر، ومن هنا نشوء الإرها صات عن الصراع بين العالمين..فالاستعمار واحد ونهب الثروات في العالم واحد..الصورة

[74]. صورة الغرب في الرواية العربية د-سالم المعوش ص ٢٠١

الأخـرى للحضـارة الأوروبيـة..تلك الحضـارة التـى اضـطهدت الشـعوب واختلست ما لديها لتضع علي وجهها الكالح المساحيق الحضارية التقدمية لإقناع الشعوب بجدواها، وأنها الوسيلة الوحيدة لإنقاذها من جهلها و دفعها في طريق الرقى والتمدن.. وما كانت تصنع إلا العكس، تضرب الثقافة الوطنية بتخريب المكتبات و حرق الفكر وأعلامه".[٧٥]

وبعد رفاعة الطهطاوي و علي مبارك نجد كتابا آخرين أدلوا بدلوهم في هذا المجال أمثال فرانسيس مراش في روايته"غابة الحق"و سليم البستاني في مجموعة رواياته وفرح أنطون في روايته "الدين والعلم والمال"أو"المدن الثلاث"، وهؤلاء قدموا في رواياتهم نماذج رائعة للمعطيات الحضارية الغربية ويأتي بعد ذلك محمد المويلحى في روايته" حديث عيسى بن هشام" وفي ذلك يقول د-جمال مباركي:"ويأتي بعد ذلك محمد المويلحى في "حديث عيسى بن هشام" أو "فترة من الزمن" سنة ١٩٠٧ وهو عبارة عن رحلتين واحدة في الداخل(داخل الشرق) كشف فيها عن تأخر الشرق والأمراض التى يعانيها وما تسبب المستعمرون فيه من بلاء وفساد، داعيا إلي ضرورة إصلاحه، ورحلة أخرى إلي الخارج(إلي الغرب)ليقوم بمقارنة بين المدنيتين الشرقية والغربية على لسان البطل عيسى بن هشام خاصة في الفصل الأخير من الرواية الذى يحمل

[75]. المصدر السابق- ص،٢٠٢

عنوان"المدنية الغربية"....وفي هذا الإطار التعليمي التثقيفي تأتى رواية "ليالى سطيح"لحافظ ابراهيم، يدعو فيها إلى الإ صلاح الاجتماعي ،كما تحوي حديثا عن الامتيازات الأجنبية (الليلة الرابعة) وضرورة بعث التراث والانفتاح علي الغرب للاستفا دة من منجزاته الما دية المدنية وفيها كشف لمخططات الا ستعمار الإنجليزي ضد مصر".[٧٦]

وعلى هذا يكون موقف المويلحي ،المساهم مساهمة وا سعة في الحركة التنويرية العربية،كماأ سلفنا، يصنف كما أ سلفنا في التيارالداعي إلى التوفيق بين الشرق والغرب دون سيطرة أحدهما على الآخر...معلنا مايجب أن يموت في الشرق والغرب معا وما يجب أن يحيا في العالمين أيضا كي تسعد الإنسانية و يفرح كل البشر.[٧٧]

وبعد هؤلاء الكتاب نجد محمد حسين هيكل يكتب روايته"زينب" وهي تعتبر أول رواية عربية ناضجة فنيا و تعد نمو ذجا روائيا مستقي من الغرب، موضوعا و دوافع ذاتية و موضوعية و شخصيات، وأ سلوبا في الكتابة، ويكفي أن نشير هنا إلى أن الرواية التي أثبتت لنفسها أولا: حقها في الوجو د والبقاء وا ستحقت ثانيا: شرف مكانة الأم في المد د منها والانتساب إليها،هي رواية على نفس غربي مكتوبة بلسان عربي في بلدان غربية عن بيئة

[76]. الغرب في الرواية العربية الحديثة.د-جمال مباركي ص-١١٩
[77]. صورة الغرب في الرواية العربية د-سالم المعوش ص ٢٥٧

عربيـة، تجسـد طمـوح الجيـل المتـأثر بـالغرب الـذي يريـد تجـاوز التلفيـق والتوفيق بين القديم والجديد نحو ابتداع جديد في أسلوبه ورؤيته.[٧٨]

وبطل الرواية حامد يمثل هذاالتجديد والانفتاح على الغرب والاندفاع نحو إدخال المنجزات الغربيـة الجديـدة إلـى الحيـاة الريفيـة المصـرية كمـا يقدمه هيكل في الرواية وفي ذلك يقول الدكتور سـالم المعـوش:"وإذا كـان هيكـل قـد أراد مـن حامـد أن يظهـر نقيضـا للحيـاة الريفيـة المصـرية ممـثلا للجديد فإن هـذا كـان دأب العديـد مـن المفكـرين فـي أوانـه..حيث حملـت الحضارة الأوروبية كثيرا من الشبان المصريين من(أولاد المدارس) علي أن يتساهلوا نوعا ما في تقاليد بلادهم ويتحروا نوعا من قيود الماضى و يتهاونوا بعض الشئ في أمورالدين، ويتبرموا أحيانا من الفضيلة."[٧٩]

والحق أن رؤية العربي أوالشـرقي للمعـالم الحضـارية الغربيـة البـاهرة ربما أفقدته صوابه و أدهشته و بالتـالى اصـطدامه بالثقافـة الغربيـةالمتحررة قد قادته إلي التمزق الذاتي و انشطار الذات وهذا بالفعل مـا حصـل لبطـل الرواية حامد و في ذلك يقول الدكتور سالم المعـوش:"إن حيـرة حامـد و تمزقه ليستا إلا صورة لانعكاس الواقع في رواية هيكـل، حيـث كـان العربـى يفتش عـن وجـوده وعـن قـيم تـتلأئم مـع ماضـيه وحاضـره ومسـتقبله..لذلك

[78] . الغرب في الرواية العربية الحديثة.د-جمال مباركي ص ١٢٠
[79] . صورة الغرب في الرواية العربية د-سالم المعوش ص٣٠٣-٣٠٤

انطلق المثقفون في تلك المرحلة يبحثون في الآفاق عن أسس جديدة للشخصية..ولقد كانت الأرض الفرنسية والسويسرية واللندنية ميدان رحلة هيكل عندكما كان يكتب"زينب".لذلك قال"أما حين كنت في سويسرا فكثيراما كنت إذا بهرني منظر من مناظرها الساحرة أسرع إلى كراسة "زينب" فإذا هى بهري بهذا الريف المرتسم في خيالي لا يقل عن بهري بمناظر سويسرا."[٨٠]

وغلب الغرب على فكر و مضمون رواية"زينب"إلى حد أن الشخصيات الروائية ربما تبدو غريبة عن البيئة الريفية المصرية آنذاك، فصورة زينب فيها جاءت أقرب إلى صورة الفتاة المستمدة من أدبيات الرومانسيين الغربيين، ضف إلى ذلك بناء الرواية على محور موضوعه الحب....فيه كثير من التحرر من تقاليد المجتمع المصري في تلك الفترة، واقتراب من تقاليد الغرب والمرأة العصرية الأوروبية.[٨١]

فهذه هي بعض الصور عن الغرب التي نجدها في رواية"زينب" التي كانت بمثابة نقلة نوعية في الفن الروائي العربى الحديث. فهي أول رواية عربية في معناها الفني الحديث، وبعده بقليل نرى دخول الأدباء الكبار والكتاب البارعين في ميدان الفن الروائي. فكتبوا روايات رائعة تركت

[80] . صورة الغرب في الرواية العربية د-سالم المعوش ص ٣٠٤
[81] . الغرب في الرواية العربية الحديثة.د-جمال مباركي ص ١٢٠

بصمات واضحة علي الأدب العربي الحديث، ولا يعنينا هنا حصر تلك الروايات بل ما يعنينا هو أنهم كيف صوروا عن قضية الصراع في رواياتهم.

فها هو طه حسين عميد الأدب العربي الحديث يؤلف "الأيام"و يفرغ فيها آراءه و أفكاره وكتاب طه حسين هذا يعد من أروع كتبه الأدبية وهو مؤلف جمع فيه صاحبه بين خصائص الفن الروائي والسيرةالشخصية الذاتية، موا صلا فيه مشروعه التنويري، وفي هذه الرواية يلتقي طه حسين بالثقافة الغربية، دون أن يذوب فيها نفسيا،ويفنى فيها فكريا، ويبدو مؤتلفا ائتلافا معتدلا بين حلم الشرق وعلم الغرب. وقد نحا فيه صاحبه منحي جديدا في محاولة لفهم الواقع الثقافي والاجتماعي العربي من خلال مقارنته بالحياة الغربية التى يرغب طه حسين في عقد الصلة بينها وبين الحياة الشرقية، وهذاالمشروع لا نجد له تصريحا واضحا إلا في الجزء الثالث، حينما يصبح عشقه للجامعة وللعلوم الحديثة والأساتذة المستشرقين بمثابة الفكاك من التقليد والعلوم الدينية و شيوخها الذين مجهم و حنق منهم كل الحنق.[٨٢]

ثم يؤلف رواية "أديب" و أديب له شخصية مثقفة تعلقت بالغرب و حضارته و ثقافته إلى حد الانبهار والذوبان، إنه يطلق زوجته المتفانية في خدمته وحبه، ويرحل إلى أوروبا طلبا لعلومها الحديثة الممنهجة والقيمة

[82]. الغرب في الرواية العربية الحديثة.د-جمال مباركي ص-١٢٠-١٢١

والدافعة إلى مزيد من التقدم والتطور. ويقول جمال مباركي بهذا الصدد:"وطلاق الزوجة طلاقا بائنا، يعني ترك مصر وما تحمله من ثقافة وأصالة شرقية، واستسلاما كليا للغرب، وهكذا يغامر هذا الأديب ويلقي بنفسه روحا وفكرا في يم الحضارة الغربية ويهيم علي وجهه هناك، فلا يستطيع الرجوع إلي أصله وثقافته ويهلك في تلك المغامرة المعقدة العنيفة، ففي رحاب الحضارة الغربية يعجز عن مواجهة كثير من مفاتن هذه الحضارة، وبذلك يطرح طه حسين نمطين من المثقفين العرب المتأثرين بالغرب –المصريين علي الخصوص-في فترة ما بين الحربين، النمط الذي استطاع أن يستوعب الغرب مع أصالته المحلية، والنمط الذي فشل في الصمود أمام الغرب، وعلي العموم كانت الكتابات الروائية في هذه الفترة يغلب عليها هاجس البحث والإحساس بالتميز، هوية الذات وهوية المجموع".[٨٣]

ولعل الشعور بهوية الذات والإحساس بهوية المجموع هما اللذان قد دفعا بعض الروائيين العرب إلي كتابة الروايات التاريخية التي تستلهم التراث العربي القديم و تستوحي مادته الغزيرة كما تعبر عما كان الوطن العربي الراهن يمر به من أوضاع سياسية و اجتماعية....وكأني بهم أرادوا بذلك إثبات الذات العربية و إحكام صلتها بموروثاتها الحضارية والثقافية

[83]. الغرب في الرواية العربية الحديثة.د-جمال مباركي ص ١٢١

والتاريخية القديمة و خا صة إذا كانت هي في مواجهة عنيفة مع ثقافة أجنبية خارجية غربية تحاول الفتك بها وإحلال ثقافتها محلها. ومن هنا نرى ظهور الروائيين العرب الذين كتبوا روايات تاريخية أمثال جرجي زيدان و نجيب محفوظ وغيرهما و إن كانت القضايا التي عالجوها في رواياتهم ليست بذات صلة قوية مع موضوع درا ستنا إلا أننا لا نستطيع أن نتغافل عن الجانب التاريخي للوطن العربي الحديث مع قضاياه و ملابساته و تطوراته الراهنة متمثلة في هذه الروايات علما منا بأن تاريخ العرب الحديث إنما هو تاريخ الصراع والنضال مع الغرب المستعمر الذي سيطر علي جزء كبيرمنه.

ونجد في نفس الفترة ظهور رواية"عصفورمن الشرق"لموليير مصر توفيق الحكيم والتي هي تعتبر أول رواية عربية تعالج موضوع الصراع الحضاري بين الشرق والغرب حيث إنها تركز عليها من أولها إلى آخرها من خلال منظور روحانية الشرق و ما دية الغرب. ظهرت هذه الرواية عام ١٩٣٣م، ثم تلاها ظهور روايات عربية أخرى عديدة في نفس الموضوع و نفس القضية إلا أنها تعالجها من مناظير فكرية و أيدولوجية مختلفة.

الفصل الثاني

قضيةالصراع بين الشرق والغرب في الروايةالعربية:القضايا الاجتماعية والسياسية

قدمت الرواية العربية صورا ونماذج واضحة لاحتكاكات العرب مع الغرب على أصعدة مختلفة في إطار التفاعل الثقافي والتعامل السياسي والصراع الأيدولوجي مما يكشف عن مدى و أثر و فعالية الرواية العربية في تقديم الطرحات الفكرية المختلفة وإظهار التباينات الأيدولوجية وتبيين الصدامات الحضارية في الماضي البعيد والقريب واستشراف مسارات التفاعلات والاحتكاكات المستقبلية بين العالمين-العربي والغربي-في ضوء ما درسته من قضايا ثقافية و سياسية عالمية راهنة.

ولعل الرواية العربية هي من أنسب الفنون الأدبية العربيةالحديثة للأدباء والمفكرين العرب الذين مارسوا بواسطتها حريتهم وفنهم و قدموا آرائهم و أفكارهم في القضايا التي تهمهم وتهم الأمة التي ينتمون إليها و خاصة إذا كانت هذه القضايا تتعلق بقصة كفاح الأمة ونضالها ضد الاستعمار الجديد والقديم وبذل الجهود من أجل بناء أمة تفتخر بمجدها و هويتها و ثقافتها و تدافع عن نفسها بكل ثقة و قوة ورباطة جأش و تذود عن

حياضها أمام تيارات الأفكار الغربية المدمرة الجارفة التى تحاول النيل من ثقافتها و تسعى دوما لأن تقيم إسفينا بين دولة عربية وأخرى. وكل هذا الكفاح والنضال ضد الاستعمار الغربي و قصة هذاالصراع من أجل الاستقلال والاستقرار والحرية والمجد لها حضور ملموس في وجدان المفكرين والأدباء العرب خاصة، وفي وعي الشعب العربي والشرقي عامة، ولأجل ذلك نرى أدباءنا يدافعون عن العالم الشرقي ويرفعون قضيته. وقد أخذ الروائيون العرب قضية تصوير آلام الشعب العربي وضيقه من خناق الاستعمار و محاولاتهم الفكاك منه منذ أول يوم نشأة الفن الروائي، واستطاعوا بهذا الفن رصد المستجدات في سياسات العالمين العربي والغربي على الصعيد السياسي كما وفقوا توفيقا كبيرا في طرح القضايا الفكرية والاجتماعية والثقافية والتجددات التي طرأت على ثقافاتهما على الصعيد الثقافي والاجتماعي، و سوف نحاول في هذاالفصل دراسة موجزة للصور والنماذج والأشكال التى ظهرت فيها الصراع بين العالمين-الشرقي والعربي-على الصعيد السياسى والاجتماعي-في ضوء ما قدمته الرواية العربية من أفكار رؤيوية وثقافية و أيدولوجيات سياسية وفكرية.

القضـــايا السيا ســـية: (الا ستشـــراق والا ســـتعمار والصـــراع السيا سي)

إذا أخذنا قضيةالصراع بين الشرق والغرب في الرواية العربية من ناحيتها السيا سية وجدنا لها صورا وأنماطا و أ شكالا عديدة. وهذه الصور والأ شكال تبدو واضحة كلما يأتي الحديث عن الصراع السيا سي في الرواية العربية. والكلام عن الصراع الروائي في المجال السيا سي يخلق في الذهن -بالضرورة- في شعور أبطال الروايات الوعي واللاوعي صورة للأحدا ث التاريخية القديمة من حروب صليبية وا ستعمارية ووقائع مؤلمة و حقائق تاريخية جديدة من الا ستعمار الغربي الجديد و سيا ساته القمعية والعدوانية ضد الشعوب الشرقية المستعمرة. فالرواية العربية تجسد كل هذه الأحدا ث والوقائع وممار سات الغرب الا ستعمارية تجسيدا جليا واضحا، كما أنها أ صبحت مجلى لما قد تبناه الغرب من خلال درا سته للشرق و عا داته وقيمه ومعتقداته من مواقف و نما ذج لإقامة الدليل علي مبدأه الا ستعماري أو كما يقول الدكتور محمو د حمدي زقزوق"إضفاء طابع التبرير العقلي علي المبدأ الا ستعماري" فهو يقول:"لم تكن علاقة الا ستشراق بالا ستعمار-كمايظن-هي مجر د إضفاء طابع التبرير العقلي على المبدأ الا ستعماري، بل كان الأمر كما يقوله إدوار د سعيد أيضا أبعد من

ذلك و أعمق، فالتبرير الاستشراقي للسيادة الاستعمارية قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق، وليس بعد حدوثها، فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة علي الشرق و إخضاع شعوبه و إذلالها."[٨٤]

والدكتور إدوارد سعيد الذي نقل عنه محمود حمدي زقزوق قوله قد ذهب إلى أبعد من ذلك وقال إن الشرق بالذات هو شبه اختراع أوروبي لإبقاء التمركز الأوروبي والهيمنة الأوروبية على العالم من خلال رؤية وفكر وفلسفة و نظام عالمى اختروعوها من عند أنفسهم، فهاهو يقول في كتابه:"ولقد كان الشرق شبه اختراع أوروبي ،وكان منذ الزمن الغابر مكانا للرومانس،أي قصص الحب و المغامرات ، والكائنات الغريبة، والذكريات والمشاهد التى لاتنسى، والخبرات الفريدة الرائعة."[٨٥]

ومع مرور الزمن لم يلبث الاستشراق أن أصبح مؤازرا للغرب في سياساتهم الاستعمارية ومعاونا لهم على نفوذهم السياسى والاقتصادى والثقافى في العالم المستعمر"وفي القرن التاسع عشر والعشرين أصبح للمستشرقين كيان أثقل وزنا، بسبب انحسار نطاق الجغرافيا الخيالية والحقيقية في هذه الحقبة، ولأن العلاقة بين الشرق وأوروبا أصبحت تخضع

[84] .الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري-د-محمود حمدي زقزوق ص-٥٠
[85] . Orientalism-Edward Said page, 1

للتوسع الأوروبى العارم طلبا للأسواق والموارد والمستعمرات، وأخيرا لأن الاستشراق كان قد اكتمل"تحوله الذاتي" من "خطاب علمي"إلى مؤسسة إمبريالية"[٨٦]

فالاستشراق إضافة إلي كونه خطابا علميا لعب دورا آخر هاما ومؤثرا للغرب المستعمرفي ممارساته الاستعمارية وتوسيع دائرة نفوذه في العالم كله. وحتى أننا نرى أن المستشرقين أصبحت غايتهم من وراء دراستهم للشرق وعاداته و أخلاقه و تراثه هى بث التشكيك والوهن والارتباك في قيم الشرق وفلسفة حياته ومن ثم إضعاف روح المقاومة والنضال في أهله كما أشار إلى ذلك الدكتور مصطفي السباعي"فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئوونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا، و ذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة و قيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا،

[86].الاستشراق -د. إدوارد سعيد ص- ١٧٣

ونرتمي في أحضان الغرب، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم و ثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة."[٨٧]

فالاستشراق لم يكن يعني بدراسة الشرق و موروثه الحضاري فحسب، بل تجاوز ذلك إلى تقديم خبرات ومساعدات للغرب في عمليته لاستعباد العباد والبلاد كما أنه صار إحدى الوسائل الناجحة والناجعة في يد الغرب المستعمر للوصول إلى هدفه من إخضاع الشعوب و إذلالها و إيقاعها في شراك استعماره. ولم نمض طويلا حتى رأينا أن الاستشراق هوالذي أذاع في العالم فوقية الغرب المستعمِر و دونية الشعب المستعمَر.

ولعل ما نرى أو نقرأ من فكرة و دعاية "التمركز الأوروبي" أو "المركزية الأوروبية" ما يدل على هذا وقد أشار إلى هذاالجانب الدكتور محمد نجيب التلاوي"...ثم بدأ الآخر رحلته الاستعمارية نحونا...ثم بدأ الآخر الاستعماري يتشكل في صور جديدة ، و تجاوز رغبته في القنص المالي و استغلال الموقع الجغرافي إلى أمور أخرى شكلت خطرا حقيقيا على الذات العربية عندما حاول إحلال لغته...ولما فشل روج للعامية...ثم بدأ الاقتراب من الموروث الثقافي العربي بكم من المستشرقين اندفعوا تحت لواء"المركزية الأوروبية للعالم" لا للاكتشاف والحيدة العلميةالخالصة، ولكن لإثبات تغلغل المد الأوروبي الثقافي في تلك

[87].الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم-السباعي د-مصطفي ص.٢١-٢١

الحضارة العربية بداية من اليونان...وكان من الطبيعي التعرض والتعريض بالتاريخ والعقيدة."[٨٨] ويكرر الدكتور محمد نجيب التلاوي نفس الأمر في مكان آخر في كتابه" ومن المفترض أن الحضارات حلقات يسلم بعضها بعضا إلا أن (المهماز الأوروبي) هو الذي حرك الصراع علي هذا النحو بما قدمه من صورة ا ستعمارية بشعة، وبما قدمه من رؤية عنصرية تتمثل في المركزية الأوروبية للعالم وهي مركزية تسعى لتهميش دور الحضارات الأخر في العالم."[٨٩]

ويظهر لنا من خلال ما قدمنا من ذكر للا ستشراق وماقد قام به من تشويه لصورة الشعوب الشرقية وتقديم رؤى وأفكار ونشر آراء و أيدولوجيات لإخضاع الشعوب الشرقية وإذلالها، أن الا ستشراق قد لعب دورا هاما في تمهيد الأرضية للتغلغل الا ستعماري في البلا د الشرقية. فرأينا ما رأينا من مأ ساة وخراب و دمارجره إلينا الا ستعمار الأوروبي. من ثم ظهورهذالصراع بين الشرق والغرب على الصعيد السيا سي.

وقد تجلت صور هذا الصراع بين الشرق والغرب في الرواية العربية في أوضح صورتها حتي أن الشمال والجنوب قد تحولا إلى رمزيين قويين للغرب والشرق، الأول يرمز إلى الغرب المستعمر مع ممار ساته العدوانية

---

[88] .الذات والمهماز- التلاوي د-محمد نجيب ص،١٢

[89] .نفس المصدر ص ،٤٣

و سلوكياته الا ستعلائية الفوقية، والثاني يرمز إلى الشرق المستعمر الذي عاني من ضربات الا ستعمار الغربي المتتالية. ولما قيض للشرق أن ينهض نهضته ويفكره في أمره ومصيره و يناضل ضد الا ستعمار، بدأ يحاول أن يثأر من المستعمر و سيا ساته الا ستعمارية الظالمة فظهر ما ظهر من صراع سيا سي كبير أثره لا يزال ممتدا حتى اليوم وقد أ شار إلى ذلك الدكتور حسن عليان في كتابه:"ففي الوقت الذي يحن فيه الغربي إلى الشرق العربي فإن حنينه لا ينبع من روح مغامرة التعرف إلى الشرق، بل ينبع من مصالحه الا ستراتيجية في السيا سة والاقتصا د، واحتلال الوطن العربي، ومن رغبته في شل فاعلية الشرق ليظل تابعا له، و ساحة لمنظومة مصالحه، في الوقت نفسه فإن العربي يحن إلى الغرب مسوقا برغبته في التعرف إليه، وإلى مقومات حضارته الجديدة وفواعلها ،ووفق رؤيته الدونية في البداية التي تجبره على اتباع سيده بصورة أو بأخرى."[٩٠]

إلا أن هذا الاتباع والإحساس بالدونية ما عتم أن تحول إلى إحساس بالانتماء إلى هوية ثقافة ممتازة و شعور بالفخار والفوقية أمام الغرب المستعمر المتعالي وفي ذلك يقول محمد راتب الحلاق في كتابه:"...فالقابل الشرقي لابد أن يتحول إلى الفعل، وفعله يبدأ بالعو دة إلى أ صوله –بأ صولية معينة- والفاعل الغربي سيتحول حينئذ إلى قابل يذهب

[90].العرب والغرب في الرواية العربية د-حسن عليان ص،٢٣٧

إليه الشرقي مندهشا ثم مساجلا...ثم محاورا...وإذا استمر الغربي في تعنته و استعلائه وتكبره فقد يذهب إليه مقاتلا."[٩١]

وإذا حاولنا أن نبحث عن أمثلة للصراع بين الشرق والغرب فيما يخص القضايا السياسية في الرواية العربية، نجدها منتشرة في صفحات الروايات العربيةالمختلفة...فنجد حينا ذكر الاستشراق وتمويهه صورة العالم الشرقي وحينا آخر نجد ذكر الاستعمار و سياساته العدوانية ضد الشعوب المستعمرة، وتارة نقع على نماذج للصراع السياسي القديم بين العالمين-الغربي والشرقي-، وتارة أخرى نرى العالم الشرقي والغربي يقتتلان من أجل استعادة مجدهما القديم.

على سبيل المثال نجد في رواية"موسم الهجرة إلى الشمال"للطيب صالح نماذج لما قد ذهب إليه إدوارد سعيد والآخرون من الرأي بأن الشرق هو بمثابة مكان للرومانس عند المستشرقين، فها هي آن همند يقول عنها مصطفي سعيد بطل الرواية"رأتني فرأت شفقا داكنا كفجر كاذب، كانت عكسي تحن إلى مناخات استوائية، وشموس قاسية، وآفاق أرجوانية، كنت في عينيها رمزا لكل هذا الحنين."[٩٢]

[91] .دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر-الحلاق محمد راتب-ص،٢١
[92] .موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح ص،٣٣

وتكرر نفس القول شيلا غرينو د"لسانك قرمزي بلون الغروب في المناطق الا ستوائية،كنت لا أ شبع منها ولا تشبع مني....ماأروع لونك الأ سو د، لون السحر والغموض والأعمال الفاضحة."[٩٣]

ونجد نفس الشئ في عد د من روايات المواجهة الحضارية أمثال رواية "الحي اللاتيني"لسهيل إ دريس ورواية"قنديل أم ها شم"ليحي حقي وغيرهما من الروايات العربية. و مع الا ستشراق نجد ذكر ووجو د الا ستعمار الغربي في الرواية العربية بكل كثافة وبكل خطورة.....

القضايا الاجتماعية: (القيم والأخلاق والدين)

الصراع بين الشرق والغرب في الرواية العربية ليس مقصورا على القضايا السيا سية وحدها كما أن الحديث عن الا ستعمار وتداعياته على العالم المستعمر و ذكر الا ستشراق وتشويهه لتاريخ الشرق وتمويهه للصورة الشرقية لم يكن هذا كله هو جل ما اهتمت به الرواية العربية، بل جاوزت ذلك و حاولت أن تعطينا صورا واضحة للصراع الحضاري سواء أكان الأمر يتعلق بالسيا سة أم بالثقافة. و ذلك لأن الرواية العربية هي نشأت في وقت كان الا ستعمار على ذروته و في عنفوانه يحاول أن يهدم الثقافات المحلية ويبني على أ سا سها بل أنقاضها ثقافاته وبذلك يسيطر على الشعوب

[93] . موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح ص،١٤٠

المستعمَرة ثقافيا مثل سيطرته عليها سيا سيا وعسكريا وقد جند الا ستعمار لذلك العمل طائفة من المستشرقين در سوا الشرق ومعتقداته وأخلاقه وأديانه و شوهوا صورته واتصفوه بالتزمت والقيود والأغلال كما أ شار إلى ذلك الدكتور مصطفي السباعي:"ولما تم لهم الا ستيلاء العسكري والسيطرة السيا سية كان من دوافع تشجيع الا ستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفو سنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا و ذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبا دئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لاتقوم لنا من بعدها قائمة".[٩٤]

نعم، هذا الخضوع الروحي والديني والثقافي للغرب هو ما كان المستعمرون يحاولون أن يبقوا الشعوب المستعمرة فيه أينما حلوا مثلما تم لهم الخضوع السيا سي والعسكري. ولأجل ذلك نرى الغرب يحاول دوما نشر قيمه وفلسفته وثقافته وفلسفة حياته و إضعاف القيم المحلية والروح المعنوية والدينية لدى الشعوب المستعمرة كما أ شار إلى ذلك الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه"الشرق الجديد" حيث يقول:"فإنما نشر الغرب حيث ذهب حضارة ا ستعمارية قامت على إضعاف الروح المعنوي في

[94]. الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم-السباعي د-مصطفي ص.٢٢

الشعوب التي نزلت بها، وعلى قتل معنى الاعتماد على النفس في تلك الشعوب،كما نشرت فيها روحا ما دية قتلا للإيمان بكل المعاني السامية أو المثل العليا توطيدا للاستعمار و آثاره. وهذا الروح المادي هو ما يعمل المستعمرون نشره أنى ذهبوا، لأنهم يرونه الصلة الوحيدة التي تربط الحاكم بالمحكوم في كل أمة ليس بين الحاكم والمحكوم فيها صلات لغة أو جنس أو دين."[٩٥]

هذا هو أحد النماذج للممارسات الاستعمارية العدوانية الثقافية على الشعوب الشرقية والمستعمرة وهي حقيقة ثابتة في كتب التاريخ الحديث والفكر الحديث ولنرى كيف انعكس ذلك كله في الرواية العربية التي صورت الصراع الثقافي بين الشرق والغرب. وإذا أردنا أن نرى انعكاسات لهذاالصراع الثقافي في الرواية فما علينا إلا أن نقلب صفحات الروايات العربية المعنية و سنجد فيها كما هائلا من الأفكار والرؤى ضد الاستعمار والغزو الثقافي الغربي للشعوب الشرقية وفيها ذكر محاربة هذا الاستعمار الثقافي و إعادة الروح الدينية والمعنوية في نفوسنا وإعادة الثقة بديننا وقيمنا و فلسفتنا وفكرنا والرجوع إلى أصلنا وجذورنا الثقافية.

والرواية العربية زاخرة بنماذج رائعة لما قد نتج عن الاستعمار والغزوالثقافي الغربي للشرق من صراع ثقافي و اجتماعي، كما قال الدكتور

[95] .الشرق الجديد-د.محمد حسين هيكل ص،٦٩

محمد نجيب التلاوي في كتابه:"والمد للمفهوم الأخلاقي للإسلام قد سيطر على عدد غير قليل من أبطال روايات المواجهةالحضارية، ومثل البعد الأخلاقي الإسلامي عنصر مقاومة و صمود أمام المهماز الأوروبي ليعبر الروائيون عن تمكن الإسلام من الذات العربية، و تمكن الذات من الإسلام، وأنه شكل بعدا فكريا يمكن أن تتسلح به الذات في مواجهة الآخر، وتلاحظ هذا في روايات عديدة نذكر منها "عصفور من الشرق"....نيويورك ٨٠....قنديل أم هاشم..."[٩٦]

ومن الملاحظ أن بعض الروائيين العرب قد اتخذوا قضية المادية والروحية كقضية أساسية للصراع الثقافي بين الشرق والغرب، مثلا رواية توفيق الحكيم"عصفور من الشرق"التي يظهر فيها توفيق الحكيم فوقية الشرق على الغرب على أساس أن الشرق مكان الأديان والقيم الروحية بينما يصف الغرب بالمادية الصارخة و يقول إنه منغمس في ماديته حتى النخاع ولا قيمة عنده للقيم والفلسفة الروحية، يقول الدكتور محمد نجيب التلاوي بهذا الصدد:"فرومانسية "عصفورمن الشرق"استمدت قوامها من بعد ديني ..وكان البطل دائم التذكر للسيدة زينب... والكوابيس تهاجمه عندما ينسى صلاة العشاء ،أما سليم بطل"بدوي في أوروبا" فكان عصاميا بأخلاقه الإسلامية و تحدى كل إغراءات الخمر وجميلات ألمانيا حتى أنه

[96]. الذات والمهماز- التلاوي د-محمد نجيب ص،١٨

جذب صديقه الألماني ليعلن إسلامه ويتزوج من ألمانية مسلمة، وبطل "قنديل أم ها شم" يخوض تجربة علمية لتخليص الدين من شوائب الخرافات التي لحقت به في ظل التخلف العلمي...وبطل "نيويورك٨٠" يحاور المومس الأمريكية ويرفض إغراءاتها، ولايقتنع بمنطقها على الرغم من تطورها وحضارتها..."[٩٧].

ونجد نفس الأمر في روايات عربية أخرى تعالج قضية الصراع الحضاري. فمثلا رواية سهيل إدريس"الحي اللاتيني"تمثل هذا الصراع الديني والخلقي خير تمثيل، أم البطل تنصح ابنها من أن يحذر من إغراءات الأوروبيات والأب ينصح ابنه لأداء فرائض الدين والتمسك بها كما هو الأمر في رواية "قنديل أم ها شم".و كثيراما نرى أن أبطال الروايات بعد أن تكتشف لهم الحقيقة، ينظرون إلى الغرب غير نظرتهم إليه قبل اكتشافهم له و عندئذ يبدأون يفكرون في أن جميع قيم الحرية والانفتاح والتحرر التى يتشدق بها الغرب لا يساوي شيئا أمام روحانية بلادهم الشرقية وقيمها وتقاليدها وموروثاتها الحضارية فهم يفتخرون بها افتخارا و يعتزون بها اعتزازا و تسمو بها نفوسهم سموا...وليس بمستطاعنا أن نذكر جميع نماذج الصراع الثقافي والاجتماعي في الرواية العربية في هذه الدراسة الوجيزة،

[٩٧]. الذات والمهماز- التلاوي د-محمد نجيب ص،١٨

وإنما اكتفينا بذكر بعض الروايات -على سبيل المثال، لا الحصر- ولعلها قد قدمت بعض النماذج للصراع الثقافي في الرواية العربية.

الفصل الثالث

هل الدعوة في الرواية العربية إلى صدام حتمي أم الدعوة إلى التصالح أيضا؟

الشرق شرق والغرب غرب

ولن يلتقيا حتى تقف السماء والأرض

أمام قضاء الله فوق العرش

ولكن ليس هناك شرق أو غرب

ولا نسل وأ صل

عندما يقف رجلان قويان فوق الأرض ولوكان قا دمين من أقصي الأرض،

هذا هو جزء من قصيدة كيبلنج الممجدة للرجل الأبيض والتي يطرح في بعضها ا ستحالة الإتصال الإنساني بين الشرق والغرب وأن الحوار بينهما يصبح في عدا د المستحيلات إلا بوجو د قويين ليس في ذهنهما فكرة تقسيم العالم إلى شطرين وهما: الشرق والغرب ، وهي ا ستحالة أخرى لا يمكن للفكر الغربي إنجازها، لأن هذا الفكر هوالذي خلق الشرق.[٩٨] هذا ما قاله

[98] .العرب والغرب في الرواية العربية –د.جمال مباركي ص،٨٨

رو ديار د كيبلنج أحد أ دباء الغرب الكبار في العصر الحديث حينما كانت الإمبراطورية البريطانية الكبرى تكا د لا تغيب عنها الشمس، ولعل ما قال كيبلنج في شعره هذا يفسر ما قد ذكرناه في الفصل الأول من هذا الباب من الا ستشراق وموقفه من الشرق وطبيعة علاقته مع الغرب.

وفي الوقت الحاضر،نجد صمويل هنتنجتون يرد د في كتابه" صدام الحضارات" بأن الحضارتين-الغربية والشرقية-في صراع حتمي حقيقي .فعند صمويل ومن لف لفه، لايمكن للعالمين-العربي والغربي-أوالكيانين المختلفين حضاريا أن يتفاعلا تفاعلا أمنيا، ويتعايشا تعا شيا سلميا أبدا، و ذلك لأنهما في حالة صراع و صدام مستمرة. إلا أنه من الضروري لنا أن نفهم بأن هذا الكتاب ليس إلا تعبيرا عن غوغائية ثقافية و سيناريو للفتنة واختراعا للكراهية عبر ترويج لأفكار مسمومة سابقة التصنيع بل هو ما كان يصف نفسه فقط ، وإنما حفنة من الناس القليلين الذين دأبوا-في الفترة الأخيرة-على ا صطناع الكراهية و اختلاق الأعداء و تعميق صدع سطحي لم ترده الأغلبية البشرية، ليكون هناك صراع حضارات مفتعل، وحروب على جانبي صدع لم تخلقه طبيعة الأرض ولا حضارة الإنسان.[٩٩]

ولسنا هنا في هذا الفصل بصدد الكلام عما كتبه الغرب أو المستشرقون عن الشرق وعا داته و دونية حضارته ونحوها من الأفكار

[99] .مجلة العربي-العدد ٥٧٦- نوفمبر ٢٠٠٦

المدمرة التى ا ستحسنها الغرب المستعمر و وظفها لمصالحه الا ستعمارية والا ستراتيجية وإن كانت معظم هذه الأفكار قد قدمت في إطار نظري خطط مسبقا من جانب المستعمرين ضد الشعوب المستعمرة والحق أن درا سات المستشرقين كانت في أغلب الأحيان مجحفة غير صائبة و غير عا دلة وغير منصفة.

فهذا هو حال درا سة الغرب المستعمر والمستشرق للشرق، فهل درا سة الشرق للغرب في ضوء ما قدمته الرواية العربية مختلفة عن ذلك أم هو نفسه وقع فريسة للإجحاف والحيا د مثل الغرب؟ وإذا درسنا روايات المواجهة الحضارية بحثا عن إجابة لهذا السؤال نجد أن الروائيين العرب قد ذهبوا مذاهب مختلفة ونزعوا نزعات عديدة في معالجتهم لقضيةالصراع بين الشرق والغرب إلا أننا نجد أن معظهم قد دعوا إلى التوفيق من نوع ما بين الشرق والغرب، ولكن ليس بالتنازل عن قيمهم وأخلاقهم و موروثهم الحضاري، بل نزولا عند رغبتهم في الو صول إلى مصالحة ما بين الشرق والغرب, فها هورجاء النقاش يقول في مقدمته لرواية "قنديل أم ها شم" التي تعالج قضية الصراع الحضاري من منظور اجتماعي ثقافي أكثر منه من منظور سيا سي،"لقد و صل يحيى حقي إلى المعا دلة الصحيحة التي بدونها لا يمكن أن يتحقق نهوض أو تقدم من أي نوع، هي تغيير الواقع من داخله لا من خارجه .... فالأخذ من الغرب يجب أن يقوم على الاختيار الواعي

الدقيق، وليس كل ما في الغرب صالحا للشخصية المصرية العربية كما أن الحضارة الغربية ليست مقدسة وليست خالية من المشاكل الصعبة، ولا يمكننا أن نأخذ هذه الحضارة بكل تفا صيلها و في جميع الجوانب والمجالات بل لابد من الاختيار."[100]

ومما يدفعنا إلى القول بأن الرواية العربية لاتمثل صراعا حتميا أزليا هي ما نجد فيها من دعوة حارة إلى الحوار والتفاهم وفهم للواقع و إدراك الذات والبحث عن الهوية الشرقية. وطبعا الحوار لا يعني الحرب والقتال، وفهم الواقع و إدراك الذات يحدواننا إلى اجتياز العقبات و اختيار سبيل النهضة والتقدم مع الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري، وإلا ما معني الفهم للواقع؟ وما ذا يعني إدراك الذات؟ التقدم والانفتاح والتحرر كل ذلك لا مانع له إلا إذا ا صطدم بالواقع الثقافي الموروث والمعاش. ولسنا نحن مثل أشخاص لا أ صل لهم، لا حضارة لهم، لا ثقافة لهم، نقلد الغرب ونفعل ما يفعلونه ونغني على كل وتر غربي، لنا وترنا الخاص نهتم به ونعزف عليه.

والمهم أننا نرى الروائيين العرب يميلون إلى خلق جو من التصالح فيما بين العالمين، كأني بهم حاولوا أن يقدموا نما ذج رائعة للمصالحة من خلال تناولهم لقضية الصراع وتمثيلها عبر سلوكيات وممار سات أبطالهم

[100] .قنديل أم هاشم -يحيى حقي (مقدمة) ص،١٩

الروائيـة. والجـدير بالـذكر أن الروايـة العربيـة إذا مـا دعـت إلـى النضـال والكفاح من أ جـل ا ستعا دة المجـد الشـرقي وانتـزا ع السيا دة الوطنيـة مـن أيدي المستعمرين بل وربما يصل الأمر عند بعض الأبطال إلـى حـد الحقـد والعنف والانتقام من المستعمرين، فإنها في نفـس الوقـت تـدعو إلـى موقـف أكثر تصالحا وأكثر توازنا وأكثر اعتدالا. فهي تتأرجح بـين مـوقفين-الموقـف المسالم والمتصالح، والموقـف المناضـل المنـتقم-ثـابتين قـائمين حقيقـين، كمـا أ شـار إلـى هـذا الجانـب الـدكتور ر شـيد العنـاني فـي كتابه"تصـورات العرب عن الغرب":" خلافا لنظرائهم الغـرب فـي عهـد الا ستعمار، والـذين در سـهم إ دوار د سـعيد ،إن المفكـرين العـرب قـد قـدموا صـورة هـي أكثـر عقلانيـة وأكثـر إعجابـا بالثقافـة الغربيـة، علـى الـرغم ممـا رأو مـن ا ستعمار العصـرالحديث والصـدامات القديمـة. الغـرب الآخـر عنـدهم شـئ للحـب والحقـد، مـأوى و خطـر، غا صـب ومعطـي، عـدو يخافونـه و صـديق يطلبـون صداقته."[١٠١]

والحق أن هذه هي الحقيقة في الرواية العربيـة إلا أنـه مـن الخطـأ أن نعتبر بأن الروائي العربي أو المفكر العربي إ ذا يـتكلم عـن إعجابـه بـالغرب و حضارته أو يتحد ث عن التصالح ،فإن ذلـك لا يعنـي أنـه يـتكلم -مـن موقـع ضعف-تنازلا عن مقومات حضارته أو تنصلا من مسؤليته تجاه عالمه وأمتـه،

[101] Arab representations of the Occident: East-West Encounters in Arabic fiction. Rasheed El-Enany, Page. 2 .

بل العكس هو الصحيح فإنه لا يتنازل عن ذاته ولا ينسى ثقافته و جذوره ولا يتخا ذل أمام الغرب يمشي وراءه ويلهث..فإن ذلك يعني ضياعه بل موته وموت حضارته.

أما ما نراه من أمر هذا التر د د في فكر المثقف العربي والتأرجح في موقفه من الغرب، فإنه يمكن أن نطلق عليه بأنه تر د د أو تأرجح يعتري أي شخص عا دي رأي لمعان شئي لأول مرة حتى إذا و صل إلى حقيقته وفهمه فهما صحيحا عا د فغير من موقفه. فهو في أول الأمر يعبر عن مشاعره وموقفه تجاه الغرب مثلما يعبر عنه أي شخص عا دي إذا رأى الغرب وحضارته اللامعة و ساورته مشاعر الإعجاب بها، فإنه يعبر عن ذلك بنفس الطريقة و نفس الفكر و نفس الموقف. وما أن زال أمام عينيه بريق تلك الحضارة ولمعانها حتى نراه يعو د ويدعو إلى فهم الواقع وفهم الذات والأخد من الغرب ماهو نافع ونبذ ماهو ضار. ونرى لذلك أمثلة عديدة في الرواية العربية.

ففي رواية"قنديل أم ها شم" للمفكر والأ ديب المصري يحيى حقي، دعوة إلى التصالح والمسالمة من أجل خير الشرق وأهله. فإن البطل بعد ا صطدامه مع مجتمعه المتخلف والمبتلى بالأوهام يحس بأنه لا يمكن التغيير بالعنف ونسف التقاليد، بل لابد له من أن يتصالح ويسالم فهو يدعو

إلى المزج بين العلم والدين ويقول بأنه لا علم بدون الدين. وفي رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" بطل الرواية مصطفي سعيد يذهب إلى أوروبا و ينتقم من الغرب الذي استعمر بلاده ونهب ثرواته وهتك أعراضه فهو يصيح فيهم"إنني جئتكم غازيا في عقر داركم، قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ "، فهو في حدة غضبه وحقده على الغرب يأخذ منه الثأر ويحاول أن يشعر الغرب بفوقيته هو عليهم حتى أن الأوروبيات اللائي أقام معهن مصطفي سعيد علاقات كن يحسبنه سيدهن و إلههن. هذه هي ذروة ما يصل إليه الغضب والحقد وجذوة الثأر المتقدة في نفس البطل. وإن هذا الموقف المناضل والمنتقم لا يقبل الغرب و لا يقبل منه ثقافته. ويقابله موقف آخر في الرواية، وهذا الموقف الثاني هو موقف معتدل ومسالم ومتصالح وهو موقف الراوي. كيف أتى هذا الاختلاف بين موقفي الراوي والبطل؟

و ذلك لأن بطل الرواية يمثل الجيل الأول الذي رأى الاستعمار عن كثب و جرب عدوانه وظلمه فهو ينتقم و نفسه مليئة بالبغض والكراهية والحقد على الغرب. أما راوية الرواية فهو أكثر توازنا من البطل و أكثر اعتدالا منه في موقفه وهو يشعر بأن المستعمرين سيخرجون ويكون الوطن وطنه والبلاد بلاده ويتكلم بنفس الموقف المعتدل عن عدم خضوعه لحدة غضبه و يقول بأنه لا يريد أن يسمم حاضره ومستقبله ،وهذا هو الموقف

المسالم المختلف عن موقف بطل القصة. وفي نهاية الرواية نجد أن الراوي يريد أن ينهي حياته فهو في نصف النهر، لا يقدم ولا يحجم، لايتقدم ولا يتأخر، ونهاية الرواية تبدو ميلو درامية، الراوي عن تلك الحالة يقول"كنت أعي ولا أعي ، هل أنا نائم أم يقظان؟ هل أنا حي أم ميت؟.... وفي حالة بين الموت والحياة رأيت أسرابا من القطا متجهة شمالا، هل نحن في موسم الشتاء أم الصيف؟ هل هي رحلة أم هجرة؟..... كان ذهني قد صفا حينئذ ،وتحددت علاقتي بالنهر....طول حياتي لم أختر ولم أقرر إنني أقرر الآن أنني أختار الحياة."[١٠٢]

فالراوي يختار الحياة ويتصالح مع ذاته، وفي اختياره الحياة رمز إلى أن الذات الشرقية التى مزقها الاستعمار وفعل بها الأفاعيل و أنهكها ولعب معها، تستطيع أن تعيد صلتها بأمتها و تذهب بها إلى النهضة والتقدم والرقى إذا تهيأت لها الظروف و حاولت بناء نفسها من جديد و إعادة ثقتها بنفسها والأخذ من جميع العلوم المتطورة النافعة بنصيبها. وفي ذلك يقول الدكتور جمال مباركي:"فالكاتب يشير إلى إمكانية التلاحم بين الشمال والجنوب، إذا ما تخلص كل منهما من الأوهام والعقد التي كبلتهما زمنا طويلا، وإذا ما استطاع كل منهما الصفح عن أخطاء الآخر، ويعتبر ما حدث بينهما من الماضي. مصطفى سعيد قال له:"إنني جئتكم غازيا"عبارة ميلو درامية

[102].موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح.ص،١٦٦-١٦٧

ولا شك ،لكنهم مجيئهم "هم أيضا" لم يكن مأساة كما نتصور نحن ولا نعمة كما يصورون هم. كان عملا ميلودراميا سيتحول مع مرور الزمن إلى خرافة عظمى. لذلك على الطرفين أن يصفح و ينسى تلك النغمة المسرحية المأساوية التي سادت بينهما في وقت من الأوقات ويعتبرانها من النغمات التي عفا عليها الزمن، ليفتحا صفحات جديدة ومشرقة، ولخلق علاقة سوية قائمة على التعارف والتعاون الإنساني لتحقيق التوازن والمساواة ومحو ذلك التمايز بين عالم الشمال وعالم الجنوب، ومن ثم وضع حد للصراع القائم بين الحضارتين الشرقية والغربية."[١٠٣].

هذه هي بعض النماذج من الروايات العربية التى تدعو إلى التصالح والموقف الإيجابي والمتفائل. هذا، وعندما نتتبع تاريخ الشرق الحديث والفكر العربي الحديث والوعى العربي المعاصر، نجد أنه كانت هناك تيارات فكرية مختلفة تشكلت من مناظير وأيدولوجيات مختلفة ووفق رؤى و أفكارحديثة. فهناك تيارفكري يدعو إلى الرفض الكلي للغرب و حضارته و تيار آخر يذهب إلى فكرة الأخذ لكل ما هوغربي، وتيار ثالث يدعو لا إلى هذا ولا إلى ذلك، بل يدعو إلى الأخذ لما هو نافع و الرفض لما هو ضار..وفي ذلك يقول الدكتور محمد نجيب التلاوي:" وفي مطلع هذا القرن توحدت الآمال في النهضة و الثورة والمثاقفة كموقف للذات العربية أمام

[103].الغرب في الرواية العربية الحديثة-د.جمال مباركي-ص-١٧٥

الآخر...إلا أن طرق و سبل هذه الغايات والأهداف كانت مختلفة، وكانت الثقافة قد أفرزت توجهات فكرية وأيدولوجية، وبنى كل فريق فكرا مخالفا ومن ثم رؤية مخالفة لتعامل الذات مع الآخر، ويمكن أن نحصي هذه التوجهات للذات في (السلفيون والأ صوليون، الليبراليون، العلمانيون)."[١٠٤]

ويكرر محمد راتب الحلاق نفس الأمر :"ويمكن للباحث أن يلاحظ أن ثمة مواقف ثلاثة، اتخذها المفكرون العرب فيما سمي بعصرالنهضة من العلاقة مع الغرب: موقف الإعجاب، وموقف التماهي، وموقف الممانعة والمقاومة الإيجابية."[١٠٥]

ومن الملاحظ أن نذكر أن معظم الروائيين العرب الذين عالجوا إ شكالية الصراع بين الشرق والغرب في رواياتهم إنما اختاروا الموقف المتصالح مع اهتمامهم الكبير على تقديم صور واضحة للصراع كمقدمات للو صول إلى نتائج يريدون تقديمها بمعالجتهم للقضية.

فغالبا ما نرى أبطال الروايات يذهبون إلى أوروبا ليتعلموا فيها أو يذهبون إليها كمثقفين عرب في بعثة علمية أو إ دارية أو دبلوما سية ويرون حضارة الغرب فيندهشون بها ثم يزول اندها شهم بها رويدا رويدا بعد مشاهدتهم للغرب عن كثب وبعمق، فيظهر لهم الأمر غيرما تصوروه و يتبخر

[104] .الذات والمهماز-التلاوي- د.محمد نجيب ص،١٤

[105] .دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر-الحلاق محمد راتب-ص،٢٥

جميع صور لمعان حضارة الغرب عن أذهانهم ويكتشفون بأن ثقافة الغرب وحضارته مختلفتان عن حضارتهم. وحينما يتفاعلون مع حضارة الغرب ويتعاملون معها، يصطدمون بها ومن هنا ينشأ الصراع وتأتي في أذهانهم جميع صور الذل والمهانة للاستعمار الغربي التي مارسها الغرب ضد وطنهم و شعبهم.

وهذا الصراع الشرقي والغربي يضطرهم إلى أن يفكروا في ذاتهم الشرقية من جديد، ويدرسوها من جديد، ويحاولوا اللحاق بالركب الحضاري ويسايروه. وتفكيرهم في قضيتهم وقضية أمتهم يذهب بهم إلى اختيار الطريق الأنسب والأصلح لأمته وللأجيال التالية لا تكون فيها عقبات وعوائق ولايكون فيها كلام عن الصراع الأبدي والتمزق الذاتي. ولذلك نرى أن أجيال المفكرين الأوائل الذين اصطدموا بالحضارة الغربية قد تركوا وراءهم آراء وأفكارا توفر للأجيال الآتية الوقت و بذل الجهود والمعاناة، فهم دعوا فيها إلى المصالحة مع المقاومة والتصالح مع الحفاظ على الموروث الحضاري الثقافي الشرقي. ولعل هذا هو ما نجد من التأرجح بين الموقفين في أفكار الروائيين العرب الذين تناولوا قضية الصراع الحضاري في رواياتهم وهذا هو ما عبر عنه الدكتور رشيد العناني في كتابه عند تحليله للرواية العربية والذي قد نقلنا عنه قوله فيما مضى.

ومـن الجـدير بالـذكر أن تنـاول الروايـات العربيـة لقضـية الصـراع الحضاري لم يحدث في زمن معين أو مكان معين، بـل امتـد تناولهـا للقضـية عبر فتـرات تاريخيـة مختلفـة كمـا أن معالجتهـا لهـا حـدثت فـي بـلاد عربيـة و شرقية عديدة. وهذه الفتـرات التاريخيـة المختلفـة للعصـرالحديث مملـوءة بقصة طويلة ومؤلمة لعهد ما قبل الاستعمار وعهـد الاسـتعمار وعهـد مابعـد الاستعمار. والروايات العربية التي ظهرت في هـذه العهـود المختلفـة تتبـاين وجهات نظرها حسب المعطيات الحضارية والثقافية والتطورات في القضـايا السياسية في ذلـك الوقـت بالـذات ومـن ثـم هـذا الاخـتلاف فـي المواقـف والآراء عند المفكرين والأدباء العرب.

وقد عكست الرواية العربية هذا التباين في الأيدولوجيات و الاختلاف في المواقف كما أشار إلى هذا الجانب الـدكتور محمـد نجيـب الـتلاوي:" وفي الرواية العربية كانت قضية المصير الحضاري(الصراع مع الآخـر) هـي الشـغل الشـاغل للمثقـف العربـي-ومـن ثـم الروائـي العربـي- عبـر فتـرات المواجهة الحضارية، الآخر مـن منظـور العزلـة كمحاولـة الطهطـاوي وعلـي مبـارك، ثـم الآخـر مـن المنظـور الاسـتعماري كمحاولـة سـميح القاسـم والرواد من قبله، ثم الآخر مـن منظـور الاسـتقلال .....وكانـت الروايـات- مصدر الدراسة- قد جاءت لترصد تطور منظور الـذات للآخـر عبـر تـاريخ الصراع الحضاري برؤية فنية انعكست عليها انقسامات التبعيات الأيدولوجية

والفكريـة للمثقفـين العرب(الـذات)في غيبـة المشـروع الحضـاري العربـي المعا صر."[١٠٦]

ومهما يكن من أمـر هـذا التبـاين فـي وجهـات النظـر و الاخـتلاف فـي الـرؤي والأفكـار عنـد الـروائيين، إلا أن الروايـة العربيـة غالبـا مـا تـدعو إلـى المصالحة والمسالمة مع الحفاظ على مقومات الحضارة الشرقية ومعطياتهـا الثقافية والإستمساك بها، وعدم الخضـوع للغـرب وحضـارته اللامعـة، كمـا أنها تدعو إلى عدم النزوح إلى أفكار وآراء مدمرة من جانب بعـض الأوساط المشبوهة من مثل دعوة إلى صراع أزلي و صدام أبدي بين العالمين. فإن مابين العالمين-الشرقي والغربي- من وجوه التلاحم أكثر من وجوه الصدام. وما في هذا التلاحم والتعايش من منفعة للإنسانية خير من الدمار والخـراب اللذين يجرهما الصدام والصراع.

[106]. الذات والمهماز-التلاوي- د.محمد نجيب ص، ٢٧-٢٨

الباب الثالث

قراءة في بعض روايات الصراع الحضاري فيما يخص القضايا السياسية والاجتماعية

الفصل الأول: رواية "قنديل أم هاشم" دراسة وتحليلا

الفصل الثاني: رواية الحي اللاتيني: دراسة وتحليلا

الفصل الثالث: رواية موسم الهجرة إلى الشمال: دراسة وتحليلا

الفصل الأول

رواية "قنديل أم ها شم " دراسة وتحليلا

كتب هذه الرواية الأديب المصري الكبير والناقد الشهير يحيى حقي عام ١٩٤٤م، ليجسد بها إشكالية الصراع بين الشرق والغرب، التي طالما استرعت أنظار الكتاب والروائيين العرب و كانت موضوعا مثيرا للجدل والنقاش فيما بين المفكرين والأدباء. وقدتناولت هذه الرواية قضيةالصراع بين الشرق والغرب من الناحية الثقافية والاجتماعية لتشخص الصراع القائم بين ا لعالمين في القيم الاجتماعية والثقافية.

وتدور أحداث الرواية حول أسرة الشيخ رجب التي هاجرت من الريف إلى القاهرة وبالتحديد في حارة المضيأة بالسيدة زينب. إستقر رب الأسرة هناك وفتح متجرا وبورك له في التجارة، وكان له ثلاثة أولاد. عمل الإبن الأكبر بالمتجر بمجرد إنهائه دراسته في الكتاب و درس ابنه الأوسط في الأزهر فأخفق ثم رجع إلى الريف وأصبح مأذونا هناك، وأما الابن الأصغر إسماعيل الذي تدور حوله أحداث الرواية فقد تفوق في دراسته تفوقا ملحوظا مما جعل أسرته تهتم بتعليمه و تضع عليه آمالا عريضة، واستمر تفوق إسماعيل في المدرسة عاما بعد عام. وبالطبع تأثرت شخصيته تأثرا بارزا بالحي الذي نشأ فيه، فأبرز ما يميز هذا المكان هو

وجـو د مسـجد السـيدة زينـب الـذي كـان النـاس يزورونـه ويتبركـون بـه. وإ سماعيل يرى هذا كله صباح مساء. واقتربت سنة البكالوريا وخاب أمل الأ سرة في ا سماعيل حيث لم يكن من المتفوقين في هذا العام، وإنما جاء في ذيل الناجحين ولم يعد بمقدوره إلا الالتحاق بمدر سة المعلمين، ولم يغمض للأب جفن و لم يذق للنوم طعما حتى أ شار عليه أحد أ صدقائه بأن يسافر إ سماعيل إلى "بلا د برة" ليدرس الطب هناك فسافر إليها. ولم يكن له في ظل انفتاح أوروبا في أ سلوب التفكير غير أن ينخرط معهم ويعايشهم ويصبح مثلهم، فنسي هناك دينه وتقاليده، فلم يجد من يحتضنه إلا ماري زميلته في الدرا سة التي ساعدته في حياته هناك. وكانت هي عكس إ سماعيل فإ ذا ما فكر إ سماعيل في تنظيم مستقبله ووضع خطة له تضحك ماري وتقول إن الحياة ليست ثابتة، فلا بد من التجد د و الحركة والحيوية.

رجع الدكتور ا سماعيل إلى القاهرة طبيبا بعد سبع سنوات قضاها في إنجلترا والتفت الأ سرة حوله فرحة بعو دته إلى بيته، وقبل أن ينام ا سماعيل في هذه الليلة سمع أمه تقول لفاطمة ابنة عمه: تعالي أقطرفي عينيك قبل أن تنامي، فقام ا سماعيل و سألها ما ذا تقطرلها فقالت إنه زيت قنديل أم ها شم الذي يحضره إلينا صديقك الشيخ در ديري ففك إ سماعيل عصابة عينها فوجد الرمد يلتهمها و تز دا د حالتها سوءا فقام صارخا فيهم ووقف كالمجنون وألقى بالزيت على الأرض، ثم انطلق إلى الباب و أخذ

عصابة أبيه و اتجه نحو قبر أم ها شم وضرب القنديل بعصاه فسقط، وما إن رآه الناس حتى انهالوا عليه بالضرب والركل حتى كادوا يقتلوه لولا أن أنقذه الشيخ درديري. ظل اسماعيل في الفراش عدة أسابيع لا يكلم أحدا ولا يطلب شيئا حتى اتخذ قراره بالنهوض والعمل على علاج فاطمة وأخذ يحضر الأدوية ويقطرلها ويساعدها لكن بدون جدوى. و ساءت حالة فاطمة أكثر على يديه حتى استيقظت في صباح وهي لا ترى شيئا. شعر إسماعيل بالإحباط وترك البيت يهيم على وجهه. وأقام بأحد البنسيونات ،مرت الأيام وجاء شهر رمضان ولم يخطربباله أن يصوم حتى جاءت ليلة القدر وتذكر هو الأيام الخوالي والروحانية التي يكون فيها الناس. فأيقن إسماعيل منذ تلك اللحظة أنه لابد من الإيمان بجانب الطب والعلم وأخذ زجاجة من زيت أم ها شم و ذهب بها إلى فاطمة و أخذ يداويها. فشفيت ومن هنا استقر إسماعيل على الاعتقاد بأن العلم لا يكتمل إلا بالإيمان ، وفتح عيادة بحي البغالة و أخذ يعالج الفقراء و نجح في كثير من العمليات وتزوج من فاطمة و أنجب منها خمسا من البنين و ستا من البنات و أهل الحي لايزال يتذكرونه بالخير إلى الآن....

فهذه هي قصة رواية"قنديل أم ها شم "، ولم يكن يحيى حقي يقصد وراء كتابتها إلا أن يجسد إشكالية الصراع بين الشرق والغرب التي كثيرا ما استلفتت أنظار الروائيين والأدباء العرب الذين قدموا آراءهم و أفكارهم من

نواح وأبعا د وزوايا ثقافية مختلفة. وقد حاول يحيى حقي أن يقدم هـو وجهـة نظره عن القضية. وفي ذلك يقول ايم-اي- بدوي:"وفي "قنـديل أم ها شـم" نجد ثنائية الشرق والغـرب تختـار بعـدا روحانيـا وثقافيـا، وفيهـا محاولـة مـن جانب مفكري مصري لإحدا ث مصالحة ما بين الشـرق و الغـرب، إيمانـا منـه بأن لكل منهمـا قيمـا، ويمكـن لنـا أن نؤيـد ونقـوي اعتزازنـا بهويتنـا الثقافيـة و نطمئن على فعلنا ذلك و لكن ليس على حساب رفض الآخر كليا."[١٠٧]

الصراع الثقافي في الرواية:

الكلام عن التصالح بين القيم الشرقية والغربية إنما يأتي إ ذا نحـن قـد سلمنا بوجو د صراع ومشكلة بين الطرفين. وإلا لما ذا هذا التصالح؟ وعلام هذه المصالحة؟ ولنبحث ألآن عن نما ذج الصراع في الرواية. فهـا هـو بطـل الروايـة إ سـماعيل يـذهب إلـي أوروبـا ليـدرس و يصـطدم هنـاك بالثقافـة الأوروبية ثم ينفتح شيئا فشيئا لها. ولم تمر سبع سنوات قضـاها فـي أوروبـا إلا وحياته أ صبحت مختلفة تماما:"كيف تقوى ذكرى هذا اليوم على البقـاء بعد سبع سنوات قضاها في إنجلترا قلبت حياته رأ سا على عقب؟ كان عفـا فغوى، صا حيا فسكر، راقص الفتيات وفسق، هذا الهبوط يكافئه صعو د لايقل

[107] Perennial Themes in Modern Arabic Literature: M.M.Badawi ,British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 20, No.1 (1993) pp;15

عنه جدة وطرافة، تعلم كيف يتذوق جمال الطبيعة ويتمتع بغروب الشمس- كأن لم يكن في وطنه غروب لا يقل عنه جمالا-ويلتذ بلسعة برد الشمال."[١٠٨]

ويتعرف البطل على ماري خلال مكثه في أوروبا والتي شغفها حبا فوهبته نفسها، ولم تؤت وصية الأب ساعة الوداع أكلها:"وصيتي إليك أن تعيش في بلاد برة، كما عشت هنا، حريصا على دينك و فرائضه وإن تساهلت مرة فلن تدري إلى أين يقودك تساهلك ، ونحن يا بني نريد أن ترجع إلينا مفلحا لتبيض وجوهنا أمام الناس، أنا رجل قد أوشكت على الكبر، و قد وضعت كل آمالك فيك، وإياك أن تغرك نساء أوروبا، فهن لسن لك وأنت لست لهن."[١٠٩]

فأبوه يتوجس خيفة من الغرب وثقافته ونساءه و قد أوصى ابنه بالخير والحرص على الدين وفرائضه. وفي ذلك ما يدل على ما قد ترسب في شعور عامة الناس من خوف ونقمة على ثقافة وفلسفة الحياة الغربية المغايرة عن ثقافتهم الشرقية. وقد وقع المحذور مع إسماعيل. يقول الدكتور جمال مباركي في رسالته"الغرب في الرواية العربية الحديثة":" وماري التي تمثل الغرب ستلقن إسماعيل فلسفة الحياة الغربية ،علمته أن الحياة ليست برنامجا ثابتا، بل مجادلة متجددة، يكلمها عن الزواج فتكلمه

[108] .قنديل أم هاشم- يحيى حقي- ص-٥١-٥٢
[109] .نفس المصدر-ص- در٤٣

عـن الحـب، يحـدثها عـن المسـتقبل، فتحدثـه عـن حاضـر اللحظـة، يقـول لها:"تعالي نجلس ، فتقول لـه" قـم نسـر..."ولقد فتحـت قلبـه علـى الجمـال والثقافة والروح الإنسانية في الغرب، وفي الوقـت نفسـه عملـت علـى تمزيـق الوعي، وانشطار الذات و تخريب الروح وقتل الضمير."[١١٠]

وقد حدث انشطار الذات للبطل بعد أن ا صـطدمت نفسـه بالحضـارة الغربية والتي رآها عن كثب وكانت زميلته ماري هي التي تمثلها، فهو منقسم بين عالمين، عالم الشرق الذي أتى منه وعالم الغرب الذي يـدرس فيـه. هـو موزع النفس، موزع الهموم دائما يتفكر ويبحث"كان من قبل يبحـث دائمـا خـارج نفسـه عـن شـئ يتمسـك بـه و يسـتند إليـه: دينـه وعبا دتـه، وتربيتـه و أ صولها هي منه مشجب يعلق عليه معطفه الثمين، أما هي فكانت تقول لـه:" إن من يلجأ إلى المشجب، يظل طول عمره أ سـيرا بجانبـه، يحـرس معطفـه ، يجب أن يكون مشجبك في نفسك، إن أخشى ما تخشاه: القيو د. وأخشى مـا يخشاه هو: الحرية.....وأيقظتـه بعنـف: أنـت لسـت المسـيح ابـن مـريم**!**"من طلب أخلاق الملائكة غلبته أخلاق البهائم، "والإحسان أن تبدأ بنفسك..... هؤلاء الناس غرقى يبحثون عن يد تمد إليهم، فإ ذا وجـدوها أغرقوهـا معهـم، إن هذه العواطف الشرقية مر ذولة، مكروهة، لأنها غير عملية وغير منتجة."[١١١]

---

[110] .الغرب في الرواية العربية –د.جمال مباركي ص- ١٢٣

[111] . قنديل أم هاشم- يحيى حقي- ص- ٥٢-٥٤

فالعواطف الشرقية في نظرة ماري مرذولة ،لأنها غير عملية وغير منتجة. والإنسان عليه أن يهتم بنفسه فقط ليس إلا. وهذا ما تدعو إليه الما دية المحضة، وهي خلاف ما تعلمه إسماعيل في الشرق و جربه و نشأ عليه. وأقوال ماري هذه قد أثرت فيه تأثيرا كبيرا تأذى و تألم لها أولا، ثم أذعن لها تدريجيا،"كانت روحه تتأوه و تتلوى تحت ضربات معولها، كان يشعر بكلامها كالسكين يقطع من روابط حية يتغذي منها، إذ تو صله بمن حوله، وا ستيقظ في يوم فإذا روحه خراب لم يبق فيها حجر على حجر، بدا له الدين خرافة لم تخترع إلا لحكم الجماهير، والنفس البشرية لا تجد قوتها ومن ثم سعا دتها، إلا إذا انفصلت عن المجموع وواجهتها، أما الاندماج فضعف و نقمة."[112]

فما كان أثر هذا كله في نفس إسماعيل؟وكيف تحمل هو هذا التمزق الذاتي والاختلاف الثقافي. وإذا بحثنا عن هذا في الرواية نجد مثالين واضحين لذلك، الأول في أوروبا والآخر حينما يعو د إلي وطنه مصر. والرواية تخبرنا عن حال تمزقه الذاتي في أوروبا فتقول"لم تقو أعصابه على تحمل هذا التيه الذي وجد نفسه غريقا وحيدا في خلائه، فمرض وانقطع

[112] .نفس المصدر-ص-٥٤

عن الدراسة، وافترسه نوع من القلق والحيرة، بل بدت في نظرته أحيانا لمحات من الخوف والذعر."[113]

والمثال الثاني هو بعد عودته إلى مصر، بلد التخلف و الجهل خلاف ما كان عليه الأمر في أوروبا."ثم أخذته غفوة ، واختلط عليه الأمر، إنه كالطير قد وقع في فخ، وأدخلوه القفص، فهل له من مخرج؟ يشعر بجسمه وقد شد إلى هذه الدار التي لا يطيقها، و ربط إلى هذا الميدان الذي يكرهه، فمهما حاول، فلن يستطيع فكاكا."[114]

فحياة البطل إسماعيل في أوروبا بعد أن تعرف إلى ماري و الثقافة الغربية أصيبت بالتيه لأنه اصطدم بحضارة غيرت من رؤيته ونظرته إلى الحياة والكون و ذهبت به إلى الإيمان بالمادية الغربية الصارخة والاهتمام بالذاتية والفردية ، فهذا الاصطدام الأول حصل له في أوروبا، أما الاصطدام الثاني فهو ما حدث له في وطنه، بعد عودته من أوروبا فكأنه قد أصبح مثل "الطير قد وقع في فخ و أدخلوه القفص....فمهما حاول، فلن يستطيع فكاكا" وهذا رمز للصدمة والحيرة و التمزق الذاتي، حتى أنه يفكر في أن يعود إلى أوروبا مرة ثانية:" ومرت أيام كثيرة وإسماعيل لا يغادر الفراش، ركبه العناد فأدار وجهه للجدار لا يكلم أحدا ولا يطلب شيئا.

---

[113] .قنديل أم هاشم –يحيى حقي -ص-٥٤

[114] . نفس المصدر-ص- ٧٢

ولما أفاق قليلا بدأ يفكر: هل يعود إلى أوروبا ليعيش وسط أناس يفهمون الحياة."[115]

و نجد في مكان آخر في الرواية نفس الشيئ" يفر إسماعيل من الميدان إلى غرفته، ويقضي ليلته يفكر كيف يهرب لأوروبا من جديد، ولكنه لا يلبث أن يعود إلى موقفه المعهود بميدان السيدة في مساء الليلة التالية."[116]

الصراع الروحي والمادي بين الشرق والغرب في الرواية:

يظهر الصراع بين الشرق والغرب بين روحانية الشرق و مادية الغرب جليا واضحا في الحوار بين اسماعيل وماري، ولعل مافي الرواية من ذكر لمسجد السيدة زينب وزيت أم هاشم و أوراد الأب و صلوات أمه ووصاية الأب لابنه ساعة الوداع بالمحافظة على الدين وفرائضه، يرمز كل ذلك إلى روحانية الشرق و اهتمامه بالمعتقدات الدينية و عكس ذلك نجد ماري ممثلة حضارة الغرب. وفلسفتها في الحياة مختلفة تماما وهذا ما يظهر من خلال حوارها مع إسماعيل."كان من قبل يبحث دائما خارج نفسه عن شيئ يتمسك به ويستند إليه: دينه وعبادته، وتربيته وأصولها ،هي منه مشجب يعلق عليه معطفه الثمين، أما هي فكانت تقول له:"إن من يلجأ إلى المشجب يظل طول عمره أسيرا بجانبه، يحرس معطفه، يجب أن يكون مشجبك في

[115]. نفس المصدر-ص- ٧١
[116]. قنديل أم هاشم- يحيى حقي- ص- ٧٧

نفسك"[117]وقولها له "أنت لست المسيح ابن مريم!من طلب أخلاق الملائكة غلبته أخلاق البهائم"و"الإحسان أن تبدأ من نفسك."[118]ونجد نفس الشيئ في قول أبيه له ليلة عودته من أوروبا ،"ما ذا تقول ؟هل هذا كل ما تعلمته في بلاد برة؟ كل ما كسبناه منك أن تعود إلينا كافرا"[119]

فالحديث عن روحانية الشرق ومادية الغرب وجد حيزا وافرا في الرواية. ومثل ذلك صراعا بين العالمين الشرقي والغربي من حيث الروح والمادة. وانتهى الأمر إلى رجوع بطل الرواية إلى أصله و اعتقاده بدينه و فرائضه وفي هذا رمز آخر قوي وثابت إلى روحانية الشرق و معتقداته فالبطل إنما يعود إلى وطنه ممزقا ولكن رجوعه إلى أصله وجذوره ومعتقداته و دينه يعيد إليه صلته بروحانيته و صفاءه وبالتالي بالشرق وأهله، فالدين شئ ثابت عنده، شئ أساسي مثل أساسيات وثوابت أخرى في الحياة، وفي ذلك يقول الدكتور محمد نجيب التلاوي:"ومن هذه المقدمات السابقة نكتشف أن هذا التقاطب الثالث(المادية،الروحية) قد مثل الثوابت الحضارية والجوهرية التي حققت التباعد الكبير بين الحضارتين ، وأزكت بذلك صراعا روائيا...إلا أن شوق الذات إلي بريق ماديات الآخر....أو شوق الآخر إلى روحانيات الذات لم ينتج قناعة ويتبلور في تغير وانتقال

---

[117]. نفس المصدر-ص- ٥٢-٥٣

[118]. نفس المصدر-ص- ٥٣

[119]. قنديل أم هاشم- يحيى حقي- ص- ٦٣

للذات إلى الآخر أو الآخر إلى الذات، ولذلك رأينا البطل الشرقي الممثل للذات يخوض تجربة الاقتراب والممارسة ثم يعود أكثر اقتناعا بروحانيات الشرق كأبرز الثوابت الحضارية، وقد وجدنا هذا في الروايات التي جسدت هذا التقاطب بشكل مباشر في عصفور من الشرق، قنديل أم هاشم.....إن عودة الأبطال إلى روحانيات الشرق على اختلاف مغامراتهم هي عودة إلى الثوابت الحضارية وهذا التقاطب(مادي،روحي) يحتل أحد أبرز أساسيات الثوابت في الحضارتين العربية والغربية في صراع المواجهة الحضارية، إنه إثبات لإمكانية المثاقفة والتقارب في فرعيات وليس في أساسيات وثوابت حضارية كالبعد المادي والروحي والذي يتصل تشكيله بأساسيات تاريخية و مزاجية و دينية وهو أمر يصعب مهمة الانفلات منه أو الخروج عليه."[120]

وعلى الرغم من وجود هذا الصراع الثقافي والاجتماعي في الرواية إلا أنها لا تخلو من تقديم حل من نوع ما لمشكلة الصراع، فنرى أن بطل الرواية يصيب بالإحباط إذا لم ينج في محاولاته لمداواة عيني فاطمة ويترك بيته و أهله و يسكن وحيدا في عزلة تامة. أفهذا يغير من حال أهله ووطنه ؟ أبهذا يستطيع أن يقدم إلى الناس نموذجا لمثقف عربي قادر على التكيف مع حال مجتمعه و وطنه؟ هل التغير يمكن أن يحدث خلال رفضه

[120].الذات والمهماز-د.محمد نجيب التلاوي،ص-س٩١

للموروثات الثقافية والحضارية والتهافت على كل ما هو جديد أوروبي؟أليس في وطنه شئ يستحق التقدير والاهتمام به؟

رجع بطل الرواية إسماعيل من أوروبا ووجد تخلفا و تدهورا و سوءا في أحوال مصر والناس فحاول أن يغير ذلك إلى أحسن بطريقته الخا صة عنوة من غير أن يعير اهتماما لما يعتقد به الناس من معتقدات دينية ولما يمار سونه من طقوس موروثة. فأخفق في محاولاته. ولم يكسب النجاح إلا إذا عا د إلى ر شده وفهم الواقع وتكيف مع الوضع. يقول رجاء النقاش في مقدمة له لهذه الرواية:"وكانت رؤية يحيى حقي لمشكلة الصراع بين الشرق والغرب رؤية دقيقة مبنية على العمق والفطرة السليمة.....وهذه الرؤية هي التي عبرت عنها أحسن تعبير قصة"قنديل أم ها شم" فبطل القصة "إسماعيل" هوطبيب مثقف تعلم في الغرب، وعا د إلى مصر، وبالتحديد إلى حي السيدة زينب،وفي البداية كانت وجهة نظره هي أنه لابد من نسف التقاليد والملامح القديمة للشخصية المصرية وأن هذا الأمر ينبغي أن يتم في عنف وقسوة، لأنه لا سبيل إلى التقدم والتطور إلا بهدم القديم كله وبناء الشخصية المصرية من جديد، علي النمط الغربي، بعيدا عن الشرق وتقاليد الشرق، وهكذا فقد قطع "إسماعيل" بطل "قنديل أم ها شم" صلته بالواقع ، واكتشف أنه بأفكاره التجديدية و حدها غير قا در على التأثير في أي شئ حوله.....ثم جاءت لحظة التنوير الكبرى عندما اكتشف "إسماعيل" أن تغيير

الواقع لا يمكن أن يتم إلا بفهمه و محبته والانتماء إليه، وأن التغيير بالقوة والعنف والقهر والإجبار لايمكن أن يجدي أو يفيد."[121]

فتغيير الواقع لا يمكن أن يتم إلا بفهمه وبفهم الشعب وتقدير الرباط الذي يربطه بهم وهذا ما تبين لإسماعيل حينما أدرك هذه الحقيقة"اطمأنت نفس إسماعيل وهو يشعر أن تحت أقدامه أرضا صلبة، ليس أمامه جموع من أشخاص فرادى بل شعب يربطه رباط واحد، هو نوع من الإيمان، ثمرة مصاحبة الزمان والنضج الطويل على ناره و عندئذ بدأت تنطق له الوجوه من جديد بمعان لم يكن يراها من قبل، هنا و صول فيه طمأنينة و سكينة والسلاح مغمد، وهناك نشاط في قلق وحيرة، وجلاد لايزال على أشده والسلاح مسنون، ولم المقارنة؟ إن المحب لايقيس ولا يقارن وإذا دخلت المقارنة من الباب ولى الحب من النافذة."[122]

وبالطبع فإن هذه الطمأنينة والسكون والمحبة والشعور بالإنتماء إلى شعب يربطه رباط واحد، كل هذا بعثه على أن يصيح فيهم قائلا:"تعالوا جميعا إلي**!**فيكم من آذاني ، ومن كذب علي ومن غشني ولكنني رغم هذا لا يزال في قلبي مكان لقذارتكم وجهلكم و انحططاكم، فأنتم مني و أنا منكم، أنا

[121].قنديل أم هاشم، (مقدمة)يحيى حقي- ص-١٨-١٩
[122].قنديل أم هاشم-يحيى حقي، ص.٨٠

ابن هـذالحي، أنـا ابـن هـذا الميـدان، لقـد جـار علـيكم الزمـان، وكلمـا جـار وا ستبد،كان إعزازي لكم أقوى و أ شد."[١٢٣]

فهـم إ سـماعيل الواقـع واطمـأن إلـى نفسـه و شـعبه وحـاول إ صـلاح أحوال الناس آخذا فـي الاعتبـار همـومهم وآمـالهم وعـا داتهم ومعتقـداتهم، يقول رجاء النقاش:"لقد و صل يحيى حقـي إلـى المعا دلـة الصـحيحة التـي بدونها لا يمكن أن يتحقق نهوض أو تقدم من أي نـوع، وهـذه المعا دلـة هـي تغيير الواقع من داخله لا من خارجه، وتحقيق هذا التغيير عن طريق الفهـم الصـحيح لهـذا الواقـع، ومعرفـة مافيـه مـن عنا صـر إيجابيـة قابلـة للبقـاء والا ستمرار وعدم التقليد للغرب في كل شئ.....فالأخذ من الغرب يجب أن يقوم على الاختيار الواعي الدقيق."[١٢٤]

صحيح أن هذه هي المعا دلة الصحيحة التي و صل إليها يحيى حقي والتي تدعو إلى التوفيق والملاءمة بين قيم الشـرق والغـرب اجتماعيـة كانـت أو ثقافية كما أنها تدعو إلى منطق"خذ ما صفا و دع ما كدر".

ومن الملاحظ أن نذكر هنا هو أنه كيف يجوز لشـخص يحـاول تغييـر الواقع وإزالة الخرافات من مجتمعه أن يعو د ويختـار نفـس الخرافـات التـي ينكرها. فبطل القصة"إ سماعيل" أخذ زيت قنديل أم ها شم و ذهب إلى بيته.

---

123. نفس المصدر-ص- ٨٢

124. نفس المصدر-ص-١٩

أليس هـذا مـن الخرافـات والأوهـام التـي لأجلهـا كسـر الزيـت وحصـل مـا حصل. أفداوى إسماعيل بهذا الزيت عيني فاطمة؟ أ آمن إسماعيل ببركة أم ها شم؟ لكن الإجابة عن هذا السؤال ليسـت بمقنعـة فـي الروايـة. فـإن يحيـى حقي بمهارة وبراعـة تجـاوز ذلـك إلـى تقـديم وجهـة نظـره. أحقـا اسـتخدم إسماعيل هذا الزيت؟ أفداوى بـه؟ لا نجـد لـه جوابـا فـي الروايـة. ففـي هـذا الجانب كثير من الغموض والابهام.[١٢٥] ولنترك الأمر كما هو ما دام قد بدت لنا وجهة نظر يحيى حقي من هذه القضية والمعادلة الصحيحة التي تبناها.

[125] The Lamp of Umm Hashim:The Egyptian Intellectual between East and West- M.M. Badawi, Journal of Arabic Literature, Vol.1, page 159.

الفصل الثاني

رواية الحي اللاتيني: دراسة وتحليلا

كتب هذه الرواية الأديب اللبناني الشهير والكاتب البارع الكبير سهيل إدريس عام١٩٥٤م، والرواية تسلك نفس الدرب الذي سلكته الروايات العربية الأخرى أمثال رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، ورواية"قنديل أم هاشم" ليحيى حقي وغيرهما من الروايات. إلا أن طريقة معالجتها للموضوع وتعبيرها عن فهم وإدراك ووعي كاتبها للقضية مختلفة إلى حد كبير. وهذا التفاوت في معالجة الموضوع والاختلاف في تناول القضية إنما تفرضهما ضرورة التفاوت في طبيعة فهم ووعي كاتبين مختلفين.

وقد عالج سهيل إدريس قضية الصراع بين الشرق والغرب في روايته هذه من خلال وجهة نظره الخاصة. وجسد بواسطتها صورا للصراع الثقافي و أشكالا للصراع الحضاري. وهذا الصراع يظهر جليا حينما نرى الفروق الهائلة بين العالمين في القيم و الأخلاق و الدين و الموروثات الثقافية. وقد أشار إلى هذا الجانب الدكتور جمال مباركي:"وتعد رواية"الحي اللاتيني"من أشهر رواياته التي تناولت موضوع الغرب، وقد صورت الفرق الحضاري بين الشرق والغرب والعلاقة بينهما، وتبدى هذا الصراع من خلال صراع الأم و العشيقة الغربية، وهو صراع بين

الخضوع للتقاليد المتوارثة، و حرية الانفتاح على كل ما هوجديد وحضاري حتى وإن كان آتيا من الغرب. فقد أبرزت هذه الرواية وجوها مختلفة للغرب المتصارع معه من خلال صراعه مع نسائه."[١٢٦١]

فالرواية تصور الصراع بين الشرق والغرب ويتم تصوير هذه العلاقة بين البطل الشرقي والمرأة الغربية. فبطل الرواية هو الأنا و أو الشرق و المرأة الغربية هي بمثابة رمز للآخر، و سنرى كيف ستكون طبيعة العلاقة بين الشخصيتين الرئيسيتين في الرواية؟هل ستكون العلا قة إيجابية أم سلبية؟ وما أساس هذه العلاقة ومنظورها الفلسفي ؟ هل ستكون النهاية بصراع أم ينتهي الأمر إلى تفاهم و تصالح؟ وماهو المحور الرئيسي الذي تدور حوله أحداث الرواية؟ كل هذا سنراه من خلال دراستنا للرواية.

تبدأ الرواية بو صول البطل و صديقيه عدنان و صبحي إلى فرنسا من أجل استكمال دراساتهم العليا وهؤلاء هم الذين يلعبون أدوار الشخصيات المحورية في الرواية، بيد أن الشخصية الدينامية التي تدور حولها الأحداث و تتمركز عندها قضية الهوية والوطن والصراع هي شخصية البطل التي إستقر بها المقام بعد و صولها إلى باريس في الحي اللاتيني لتكون قريبة من جامعة السوربون. وبعد الاستقرار في الفندق، انطلق أصدقاء البطل للارتماء في أحضان الحرية والخمرة والرقص والمجون والاستهتار والجنس بعد أن

١. الغرب في الرواية العربية-جمال مباركي- ص، ١٣١

هربوا من قيو د أعراف مجتمعهم وتقاليده التي جعلتهم يعـانون مـن الحرمـان والكبت. وأ صبحت الأنثى لعدنان و صـبحي مـلا ذا وجو ديـا ومصـيرا إنسـانيا ضروريا. لكـن بطلنـا انطـوى علـى نفسـه و انـزوى فـي غرفتـه يسـتعيد ذكـرى الماضي و أ صدقاءه في بيروت وعشيقته ناهدة. وعاش البطل فترة من التر د د والشعور بالغربة والانجذاب بين بيروت وبـاريس، بيـروت الماضـي و ذكرياتـه وبيـروت التقاليـد الصـارمة وبـاريس الحاضـر و حريـة الانعتـاق والانفتـاح. وأحس بالإخفاق والفشل في الحصول على ماكان يتمنـاه ألا وهوالو صـول إلـى أنثـى شـقراء للتوا صـل معهـا وجـدانيا وعاطفيـا علـى غـرار أ صـدقائه العرب"تبحـث عنهـا....عن المرأة....تلـك هـي الحقيقـة التـي تنسـاها...بل تتجاهلها، لقد أتيت إلى باريس من أجلها والآن أرأيـت أنـك كنـت مخـدوعا عن نفسك، ساعة كنت تتصور أنهن كثيرات هنـا، وأنـه يكفيـك أن تسـير فـي الطريق، ليتهافتن عليك، ويحدثنك حديث الهوى."[١٢٧]

وقرر البطل أن ينطلق مستبيحا ماهومحرم في بلده، وبدأ يقتنص لـذات الحب والجنس، ويسأل هذه و يطار د الأخرى. لكن علاقاته في البداية كانت فا شلة أ سا سها الخيبة والانتظار والملل والإخفاق والإحباط. والبطل يتـذمر و يغضب علـى نفسه"أ سـبوع طويـل ينقضـى وفـي جسـدك نـار تلتهـب وفـي مخيلتك ألف صورة و صورة لنساء عاريات متمـد دات علـى السـرر يلسـعن

[127].الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص. ٢٣

فكرك و جسمك بألف لسان من نار. لا،لا تحاول أن تحتج أو تنكر. أجل شرقك ذلك لم يغرك بالهرب منه سوى خيال المرأة الغربية، سوى اختفاء المرأة الشرقية في حياتك.....هكذا عرفت المرأة في شرقك، فعرفت الخوف والحرمان والكبت والشذوذ والانطواء والخيال المريض، عرفت الخيال على أي حال، فكان فيه منجي من نفسك وجوك ومحيطك ومجتمعك ، وقد أمسك هذا الخيال بذهنك ، فقاده إلى البعيد البعيد الذي خلقت إطاره في وجدانك فصول من الكتب، أو مغامرات من صديق."[١٢٨]

وبعد أيام من العبث واللهو والمجون، تعرف البطل فتاة أحبها و أحبته. وهي جانين مونترو تسكن معه في نفس الفندق. وبعد مرور الأيام توطدت العلاقة بينهما و صارت علاقة وفاء و صدق والتزام. وإذا كانت المرأة للبطل هدفا أساسيا فإنها بالنسبة لفؤاد وسيلة للنضال الوطني والقومي، قضية أكبر من قضية المرأة، فأمته في حاجة إليه لتحريرها من براثن الاستعمار و قيود التخلف والاستبداد، لذلك سيتصادم مع فرانسواز التي كانت تدافع عن الاستعمار الأوروبي، بينما فؤاد يرفض موقفها العنصري وغادرها عائدا إلى وطنه لتشييع والده وبقي هناك من أجل النضال القومي.

أما البطل فهو يعيش حياة حب وغرام مع جانين مونترو وبينما هو كذلك إذ يصل إليه نبأ مرض أمه التي تدعوه إلى زيارة أهله فيضطر إلى أن

[128]. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص-٢٥-٢٦

يسافر وكان هذالسفر بالنسبة لجانين مونترو مأساة مؤلمة موجعة أثار فيها فكرة التفاوت الحضاري بين الشرق والغرب على الرغم من انبهارها وإعجابها بروحانية الشرق و سحره الطبيعي الرائع و صحرائه الفيحاء وتعاطفها مع العرب و ثورتها على بلدها المستعمر.

وبعد و صوله إلى بيروت، أحس البطل بالغربة والملل والضيق بسبب ابتعا ده عن باريس و حبيبته جانين التي تخبره في إحدى ر سائلها بأنها تحمل جنينا في بطنها وتسأله عن رأيه فيه. لكن البطل يكتب إليها تحت ضغوطات أمه و أخته بأنه لا رأي له في ذلك و يقول"ليس لي أن أقدم لك أية نصيحة أو إ شارة تحياتي الصا دقة لك."[١٢٩]

وقامت جانين بإجراء عملية جرا حية لإ سقاط الجنين وعانت ما عانت من مرارة الألم والمرض، و صارت فقيرة معدمة ليس لها من يعيلها و يشاركها أحزانها و يقا سمها أ شجانها ويساعدها على مواجهة أعباء الحياة.

وعندما عا د البطل إلى باريس وبخه فؤا د لأنه لم يلتزم بالحرية ولم يتحمل مسؤليته، كما عاتبت ضميره ر سائل جانين ومذكراتها فبدأ يندم حين لا ينفع الندم. وبدأ يبحث عنها ولم يجدها إلا بعد مرور أ شهر و قرر البطل أن يتزوج منها لكنها رفضت ذلك و قالت له.....لا لن أ ذهب معك، إن

[129]. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص-٢١٧

بوسعي الآن أن أتمثل نفسي إذا رافقتك ستجرجرني خلفك، سأعيق طموحك، سأكون أنا في السفح وتكون أنت في القمة فامض قدما يا حبيبي...ولا تلتفت إلى وراءك....وعد أنت يا حبيبي إلى شرقك البعيد الذي ينتظرك، ويحتاج إلى شبابك و نضالك."[١٣٠]

وحقا عاد البطل الشرقي إلى بلده، ليبدأ نضاله الوطني والقومي، وليحقق طموحاته و تطلعاته بين أحضان أسرته و شعبه و أمته. هذه هي قصة الرواية وهي قصة تحمل بين ثناياها أفكارا وآراء عن القضية التي تحاول الرواية معالجتها.....فهي تظهر التفاوت الحضاري بين الشرق والغرب،كما أنها تنبئنا عن الاختلاف الجذري القائم بين القيم الروحية الشرقية و القيم المادية الغربية، وتقدم نموذجا صارخا لما أصاب أبناء الشرق المنفتحين على ثقافةالغرب من اندهاش وانبهار ومن ثم نكران للذات وفقدان للهوية الثقافية والتمزق الذاتي.

التمزق الذاتي والبحث عن الهوية الشرقية الثقافية في الرواية:

كما نجد في الروايات العربية الأخرى التي ترسم صورة الصراع الحضاري بأنها كثيرا ما تصور ما يصيب الأبطال الشرقيين أو الشخصيات الشرقية من اندهاش بالحضارة الغربية والصدمة الناتجة عن ذلك، مما

[130] .نفس المصدر-ص.٢٦٢

يؤدي إلى تمزق ذاتي ومن ثم سعي حثيث دائم من جانب الشخصيات الشرقية لإثبات الذات و إظهار الفوقية أو على الأقل فكرة التساوي و نبذ الشعور بالدونية والتخاذل أمام الغرب.كما أشار إلى ذلك الدكتور مصطفى عبد الغني في كتابه "الإتجاه القومي في الرواية":"وحين عرف بعد أن عاد إلى وطنه، أنها تعالج آلام الحمل،وضرورة العودة إليها، وهو يحمل على مستوى الرمز، ضرورة الانحياز إلى الغرب والارتباط به، فإنه وهو العربي،آثر ألا يعود إلى الغرب ثانية، وآثر البقاء في الشرق العربي ليبدأ النضال من أجل الوحدة العربية، وكانت علاقته بالغرب ،كان يجب أن تكون عابرة ،لا تحمل كثيرا من الارتباط، أن تكون بمثابة "علاقة تماس لا تهدف إلا إلى تاكيد الذات"ومع ذلك فإن الأحداث تشير إلى أنه عاش فترة ليست بالقليلة يحمل هما ذاتيا ثقيلا، مترددا بين البقاء في الوطن أو العودة إلى الغرب، بين السعي لتأكيد الهويةالعربية في معزل من المؤثرات الغربية، وبين العودة إلى الغرب منصاعا لقدره ،من ضرورة تأكيد الذات في ظل الوجود الغربي وتحت حضارته."[١٣١]

فعودة البطل إلى وطنه وخوضه في ساحة النضال والصراع تعني إثباته لهويته وإنتماءه إلى الذات العربية....وفي ذلك يقول الدكتورمحمد نجيب التلاوي:"وهذا العود إلى الوطن يدل على أن رغبة الانتماء أكبر من

[131].الإتجاه القومي في الرواية-د.مصطفي عبدالغني،ص-٩

مغريات الآخر ويعني عدم الرغبة الضمنية في الذوبان في الآخر.....ويعني وجود ثقة في قدراتنا يمكن أن تحيا وتؤثر وتفيد....ومع هذا فالعودة تعني وجود هوية لوطن يختلف عن الآخر اختلافا نوعيا وحضاريا."[١٣٢]

ومن الجدير بالذكر أن إثبات الهوية والشعور بالإنتماء إلى الذات الشرقية أو العربية والاعتزاز بالثقافة الشرقية لا تظهر بقوة و شدة إلا بعد أن يصطدم أبطالنا الشرقيون بالحضارة الغربية ومن ثم يعرفون قدر هويتهم الشرقية فيعززون إنتماءهم إليها و يفتخرون بها ويمجدونها.وهذا ما يؤيده أقوال المفكرين الذين أخلدوا إلى الرأي بأن معرفة الآخر(الغرب)يساعد على معرفة الأنا(الذات).كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد نجيب التلاوي:"والمستوى الثاني كانت الهوية غائمة عند البطل لكن المواجهة مع الآخر قد أوقفته على الحقيقة ليحدد الهوية ويعلن عنها بشكل فني غير مباشر وهذا ما سنجده عند أبطال روايات مثل عودة الذئب إلى العرتوق...فيينا٦٠ .... الحي اللاتيني..."[١٣٣]

ويؤكد ذلك ما قاله الدكتور جورج طرابيشي في كتابه" شرق وغرب":"لقد رأينا أن بطلنا كشرقي لم يهرب من شرقه إلى باريس إلا لاشتهارهذه الأخيرة بأنها عاصمة المرأة أو "عاصمة حمراء"على حد تعبير

[132].الذات والمهماز-د.التلاوي،محمد نجيب ص-٥٠
[133].الذات والمهماز-التلاوي د.محمد نجيب –ص،٤٥

بطلنا بالذات، لكن بطلنا كفرد قدم إلى باريس بحثا عن هوية، إذا جاز التعبير، وهويقول لنا ذلك بصراحة حين أفلت من بين أصابعه المنديل،"للمرة الأولى منذ بدأ يعي، شعر بقوة هذه الإرادة التي تعصف بوجوده في أن يولد من جديد، إنه يريد أن ينسى حداثته و أصحابه وبضع فتيات عبرن حياته بغموض، ليبدأ من أول الطريق، انسانا جديدا يستلهم الحياة شخصية جديدة."[١٣٤]

ولذا نرى أن البطل إذا تمت له مثاقفته وتحديده لهويته، عاد إلى وطنه يعزز انتماءه إليه ويوثق ولاءه لأمته يناضل ويكافح في سبيل تحرير بلاده من التخلف والجهل وبراثن الاستعمار والفوضى.

القضايا السياسية: (الاستعمار والصراع السياسي بين الشرق والغرب)

رواية الحي اللاتيني تقدم نماذج واضحة للصراع السياسي بين الشرق والغرب، وهذا الصراع ليس لأجل أتفه الأسباب أو بدون أي مقدمات أو إرهاصات. بل الحق أن هذا الصراع نتج عن الاستعمار كما نتج عن الممارسات القمعية والإجبارية و العدوانية التي قام بها المستعمرون في البلاد الشرقية. وهذا الاستعمار هو الذي دائما يشكل

[134] .شرق وغرب:رجولة وأنوثة- جورج طرابيشي-ص،٨٦-٨٧

موضوعا للنقاش والحوار بين الطرفين -الطرف الشرقي والطرف الغربي- في هذه الرواية. ولعل ما نقرأ في صفحات الرواية المتناثرة من ذكر للكفاح والنضال والصراع من أجل تحرير الوطن من التخلف و براثن الاستعمار هو يدخل في هذا الباب أي باب سياسة الاستعمار الغربي و أثرها في إذكاء نار الصراع بين العالمين. فذكر الاستعمار والصراع موجودان في الرواية في أتم شكلهما وأظهر صورتهما. وقد أشار إلى هذا الجانب جورج طرابيشي:"إن ما يميز رواية سهيل إدريس وما يقدمها على رواية توفيق الحكيم هو أن الاستعمار ووعيه غير غائبين عنها. ولا غائب عنها كذلك طريق خلاص "الشرق":النضال القومي، صحيح أن هذا النضال تكتنفه ضبابية وغنائية مثالية، و صحيح أن له-في ما له-وظيفة تبريرية وتعويضية، ولكن كذلك كان بالفعل في أوائل الخمسينات واقع النضال القومي العربي. وليس لنا أن نطالب من هذا المنظور، بطل "الحي اللاتيني"بأكثر مما كان يستطيع أبطال زمانه تقديمه، ومن هذا المنطلق فإن بطل"الحي اللاتيني" هو فعلا ممثل للشرق الذي يستيقظ."[١٣٥]

كما أننا نجد ذكر هذاالاستعمار في الحوار الذي يقوم غالبا ما بين الطرف الشرقي الممثل في فؤاد صديق البطل والطرف الغربي الممثل في صديقة فؤاد فرانسواز، وهي دائما تدافع عن ممارسة فرنسا الاستعمارية،

[135]. شرق وغرب:رجولة وأنوثة- جورج طرابيشي-ص، ١١٠-١١١

وبعض النماذج من الرواية توضح ذلك. نذكر هنا على سبيل المثال الحوار الذي جرى بين فؤاد والفتاة الفرنسية فرانسواز.تقول فرانسواز :"لقد علموا الفتاة الفرنسية، في بعض مجتمعاتهم، أن تخشى هذا الشرقي الساكن في الصحراء، القائم في مجتمع متأخر، لابد أنه متوحش وأعتقد أنكم مقصرون جدا في الدعاوة لأنفسكم...فقال فؤاد وكأنه يقاطعها:هذا صحيح ولكننا سنظل مقصرين في هذا السبيل ولو بذلنا ملايين الفرنكات، ما دام اليهود هم الذين يستولون برؤوس أموالهم على أهم المرافق الفرنسية!فقالت فرانسواز :إنني أقرك يا عزيزي على رأيك ولكن إلى حد. فليس مال اليهود هوكل شئ في القضية وأنا أوكد لك أن أعداء اليهودية والصهيونية في فرنسا أكثر مما يتصور البعض، ولكن هناك أمرا آخر تعذرونني إذا صارحتكم به، إن بعض العناصر الشرقية والعربية بصورة خاصة تعطي في كثير من الأحيان فكرة سيئة عنكم، بما يرافق مسالكها من شذوذ و خرق للمواضعات الاجتماعية ولو لاذلك.....أوكد لك أيتها الآنسة أن هؤلاء الأفريقيين من تونسيين وجزائريين ومراكشيين الذين يسكنون هنا في أحياء خاصة لهم، هم أبعد من أن يمثلوا حقيقة السكان في تلك الأقطار... وقد بات معلوما اليوم أن السلطة تشجع قيام هذه الأحياء الخاصة في باريس.....إن السلطات تشجع هذه الأحياء، وتدع لها طابع الحياة المستقلة، لتقيم الدليل على أن هؤلاء المقيمين في باريس لا يستحق

مواطنـوهم أن ينعمـوا بالحريـة والاسـتقلال، إنـه الاسـتعمار ،أيتهـا الآنسـة فرانسواز، يتوسل بكل وسيلة ليظل ثابت الأقدام في بلادنا."[١٣٦]

ولم نأت بهذا الاقتباس الطويل إلا لنثبت بـه مـا كـان للاستعمار مـن حضور ملموس في أذهان الشخصيات الروائية، وذكر خوف الفرنسيات من الشرقيين يذهب بنا إلى التفكير فيما كان قد ترسب في أذهان الأوروبيين أو الغرب من نفور وحقد علي الشرق وأهله.

هذا، ونجد في أعمال وتحركات الأبطال الشرقيين في فرنسا من إقامة للجمعيات ونشر أفكارهم بواسطتها وتكثيف مجهوداتهم من أجل تحرير الوطن ما يرمز إلى كفاحهم ونضالهم. وحتى أن هذا الأمر كثيراما يكون موضوعا للحوار والنقاش. فهاهو صبحي يقول لهم: "إن عندي لكم نبأ لا مجال فيه للمزاح على ما أعتقد وبسط لهم الطبعة الليلية الأخيرة من جريدة "فرانسوار" فقرأو بعنوان ضخم:انقلاب عسكري جديد في سوريا" ثم أخذ يقرأ لهم تفاصيل النبأ.....لقد كنا نتوقع ذلك منذ حدث الانقلاب الأول، لقد انتهى الأمر وسارت بلادنا في طريق الديكتاتورية العسكرية. ولكننا لم نفقد الأمل، ولن نفقده أبدا وإلا لن يكون لوجودنا أي معني، قال أحمد- صحيح أن الديكتاتورية العسكرية أمر لا يستحق إلا الشجب. ولكنه يظل

[136]. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص- ١٦٧-١٦٨

خيرا من الاستعمار الأجنبي الذي يلعب من وراء ستار في بلاد مستقلة إسميا."[١٣٧]

يظهر من هذا ماكان الأبطال الشرقيون يحسون به من بغض وحقد على الاستعمار وما كانوا يشعرون به من كراهية للغرب من أجله حتى أنهم يفكرون في أن الانقلاب العسكري هو خيرمن الاستعمار، وهذا أمر بديهي ما دام قد وجدنا الاستعمار يمارس ظلما وعدوانا وفسادا في الأراضي الشرقية والمستعمرة. ونجد في رسالة جانين مونترو إلى البطل مايدل على أن سياسة الاستعمار الغربية وما خلفته من إرهاق نفسي وظلم اجتماعي وفساد اقتصادي على الشعوب المستعمرة موجودة في ذاكرة الأبطال وجودا ملموسا.هي تكتب إليه:"إنني جادة في دروس الصحافة، وأنا أطالع كثيرا من الصحف اليومية وجميع الصحف مهتمة الآن بأنباء الاضطرابات في أفريقيا الشمالية، وأصارحك القول بهذه المناسبة، إني لا أستطيع أن أفهم سياسة القمع والإرهاب التي تسلكها حكومتنا هناك."[١٣٨]

ونرى مثل هذه النماذج للصراع و ذكر الاستعمار في أمكنة عديدة في الرواية إلا أنه من الملاحظ هنا أن نذكر براعة الكاتب و مهارته في رسم صور هذا الصراع و رصد نماذجه. إنه يذكر ما هو موجود في شعور

---

[137]. نفس المصدر-ص. ١٧٠

[138]. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص- ٢٠٤

الأبطال الـواعي و شـعورهم اللاواعـي مـن صـور و أ شـكال لهـذا الصـراع. ولنتوقف عند نمو ذج من الرواية و نتأمـل فيـه، فالبطـل حينمـا يبـدأ مغامراتـه الغرامية مع حبيبته الفرنسية جانين و هما في أول عهد لقائهما، هو يفكـر فـي أمره و في أمر شرقه ويناجي نفسـه:"أم تـراك قـد زللـت إذ أنبأتهـا بأنـك مـن الشرق العربي، ما يمنعها من أن تجيل في خاطرها كل مـا سـمعت أو قـرأت عن مساوئ العربي فتحسبها ممثلة فيك. ألا تـرى الغربـي يخـاف دائمـا هـذا الشرقي ،هذا العربي،النابع من رمال الصحراء، العائش في حضارات القرون الو سطى؟ وفلوبير نفسه، هذا الذي حنت، هي جـانين، إلـى الشـرق بتـأثير مـا كتبه، ألم يكن حريصا على تصوير نواحي التأخر والحيوانيـة فـي حيـاة أهـل الشرق."[١٣٩]

فهذا هو بيت القصيد، البطل يناجي نفسـه ويخـاف مـن ألا يـؤثر كونـه شرقيا على طبيعة علاقته الغرامية مع حبيبته جانين. وخوفه هذا إنما نابع مـن طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب، كما يذكر ما كان قدلعب الا ستشراق من دور سلبي في ترويج الأكا ذيب والأهام عـن الشـرق و أهلـه. فالصـراع بـين الشرق والغرب قديم جديد. الا ستشراق والا ستعمار صنوان في ذلك. وهذا ما أ شار إليه الدكتور محمو د حمدي زقزوق:"وقـد ا سـتطاع الا سـتعمار أن يجنـد طائفـة مـن المستشـرقين لخدمـة أغراضـه و تحقيـق أهدافـه وتمكـين

[139]. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص- ٩٦

سلطانه في بلاد المسلمين. وهكذا نشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق و الاستعمار، وانساق في هذا التيار عدد من المستشرقين."[١٤٠]

القضايا الاجتماعية: الصراع بين القيم الشرقية والقيم الغربية

إن الروائي سهيل إدريس لم يترك الجانب الاجتماعي للصراع الحضاري يذهب سدى، من غير أن يقدم صورا للصراع من الناحية الاجتماعية. فعنده الصراع بين الشرق والغرب لا يتمثل فقط في القضايا السياسية من الاستعمار والإمبريالية بل يتجاوز الأمر ذلك إلى القضايا الاجتماعية. فنرى في روايات المواجهة الحضارية صراعا بين روحانية الشرق و مادية الغرب وبين قيم الشرق وقيم الغرب. والصراع بين الشرق والغرب من الناحية الاجتماعية دوما يتناول ذكر تقاليد الناس وأخلاقهم وطقوسهم وأديانهم من كلا الطرفين. وإذا درسنا رواية "الحي اللاتيني" بحثا عن الفوارق بين قيم الشرق والغرب ومن ثم نماذج للصراع نجد أن القيم الخلقية و تقاليد الناس وأحوال المرأة في الشرق والغرب قد وجدت حيزا وافرا في الرواية. كما أشار إلى ذلك الدكتور حسن عليان:" إن وعي بطل رواية "الحي اللاتيني "المرأة الشرقية" نسيج قيمها وعاداتها وتقاليدها ومعطيات واقعها الاجتماعي ولد فيه التردد بين وجهين حضاريين تمثلهما

[140].الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- د.محمود حمدي زقزوق- ص، ٤٧

المرأة ، وهو يرى العلاقة الجدلية بين قيم الشرق والغرب ومعطياتهما، فقد أخبر صبحي بطل الرواية إعجابه بليليان أولا، وكرهه لها ثانيا لوجهيهاالمتناقضين . أما الوجه الأول فقد تمثل في إعجابه بها وحبه لها، إذ دغدغت نزعة شاعريته، وأثارت فيه مكامن الحس الشعري، وهي تقرأ شعر جاك بريفير الذي انتحلته لنفسها، يقول له صبحي:"أنت لا تستطيع أن تنسى أنك شاعر، فإنك تريد أن تخضع كل شئ لهذه النزعة.لقد كانت أمامك امرأة فطلبت فيها شاعرة فحسب، أما الوجه الآخر الذي يرفضه فهو الكذب و إدعاء ملكية أشياء لا تمت لها بصلة وخارج رؤيتها وقدراتها، وكذلك السرقة فقد اقتنع بأن من يسرق شعر غيره وينسبه إلى نفسه لن يتورع عن سرقة أموال الآخرين. "[141]

بالرغم من أن الكاتب قد صور مرارا المرأة الشرقية بأنها متخلفة وتعاني حرمانا وكبتا، و صور المرأة الغربية بأنها مثقفة ومتحررة و منفتحة إلا أن الكاتب لم يترك مجالا للشك في أنه إنما يكتب ذلك عن يقين وإيمان بأن العالمين الشرقي والغربي مختلفان تماما، فهذه الثقافة والتحرر والانفتاح للمرأة الغربية لاتساوي شيئا أمام شرف وعزة وكرامة المرأة الشرقية حتى أننا نرى جانين مونترو تقول:" سأصارح حبيبي العربي بأني سأحبه كما تحب المرأة الرجل في الشرق. لاتطلب مقابلا، ولا تنتظر عروضا. لاأدري

[141].العرب والغرب في الرواية العربية-د.حسن عليان-ص، ١١٨-١١٩

أيـن قـرأت ذلـك. ولكننـي أعتقـد أنـه الحـب الصـحيح، لأنـه التفـاني كلـه والإخلاص....[١٤٢].

بطل الرواية دائما يذكر بأن المرأة الشرقية تخاف الرجل وتخاف مـن أن تقترب منه وتخاف من جسده، وهي ليست بذات ثقافة عالية إلا أن لها من الميزات ماتميزها عن المرأة الغربية، و ذلك يظهر من خلال الشعور اللاوعي للبطل.كما أ شار إلى ذلك جورج طرابيشي:"إن المرأة الشرقية الخانقـة مـن جسدها وعلى جسدها لاتصمد للمقارنة، في محاكمات بطلنا العقلية الواعية، مـع المـرأة الغربيـة المالكـة لزمـام نفسـها وجسـدها و حريتهـا، التـي تفـتح بحضورها الآفاق ولاتكبت إمكانياتها أو إمكانيات الرجل، ولكـن عنـدما يفلـت من بطلنا زمام نفسه وتتحكم في أحا سيسه وأفكاره وتصـرفاته ر دو د الفعـل- ور دو د الفعـل تصـدر عـن اللا شـعور و تكشـف عنـه- تنقلـب الآيـة وتتبـوأ المرأة الشرقية بإ سم الشرف الجنسـي- وهـو قيمـة شـرقية عظيمـة-مكانـة لا ترقي إلى مثلها بتاتا المرأة الغربية."[١٤٣]

ونمو ذج آخر للصراع فـي الروايـة نجـدها فـي موقـف أم البطـل عـن الغرب ونسائه فهي دائما تحذر ابنها من المرأة الغربية في ر سائلها إليه وإن دل هذا على شئ فإنمـا يـدل علـى أن أم البطـل تتـوجس خيفـة مـن العـالم

---

[142]. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص- ١٦٤

[143]. شرق وغرب:رجولة وأنوثة- جورج طرابيشي-ص، ٨٢

الغربي ونسائه"أعو د فأحذرك يا بني من نساء باريس ....وقاك الله شر بنات ا لحرام"[١٤٤]"وأخشى يابني أن يصرفك الغرب عنا، وأخشى فوق ذلك أن تسحرك امرأة من هناك فتقع في شباكها وتخيب أمل أمك الصغيرة بك"[١٤٥].

وقد وقع المحظور والحذر لايمنع القدر، فقد أحب البطل الشرقي جانين وعا د إلى بيته فأر سلت إليه ر سائلها و ذكرت في إحداها بأنها حاملة وهي تستشيره في أمر ذلك الجنين، ولما علمت أم البطل ذلك وبخته وقالت له:"ما ذا سيقول الناس؟لقد عا د من باريس وفي ذراعه فتاة....فتاة تشتغل في مخزن...فتاة مسيحية من غير دينه...فتاة...أية فضيحة وأي عار سينصب على بيتنا، بيتنا هذاالذي عاش طويلا في الستر والفضيلة والشرف والدين....."[١٤٦] وتحت ضغوطات أمه أنكر البطل ما كان بينه وبين جانين قائلا "وليس لي أن أقدم لك أية نصيحة أو إ شارة، تحياتي الصا دقة لك."[١٤٧] ولما و صل إلى جانين هذا النبأ من حبيبها الشرقي ،قامت بإجها ض جنينها وأ صبحت فتاة ضائعة و ذكر جورج طرابيشي في كتابه بأن عمله هذا كان مشروعا لانتقام كبير دبره البطل من قبل لينتقم من الغرب."إن جانين تسقط لأنه كان يجب أن تسقط. وهذا الوجوب خارجي، ولا ينبع من ضرورة

---

144. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص- ٧٢
145. نفس المصدر-ص. ١٦٢
146. نفس المصدر-ص. ٢١٥
147. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص-٢١٧

داخلية، أي لا ينبع من حرية جانين من حيث أنها شخصية روائية، وإنما من جبرية المخطط المسبق، مخطط الانتقام غير المجاهربه."[١٤٨]،

ومهما يكن من أمر فإن صراع القيم بين الشرق والغرب موجود أصلا في هذه الرواية و ذلك في شعور الواعي واللاوعي للبطل والشخصيات الروائية.

بقي كلام لابد من ذكره وهو أن جانين بعد أن رفضت طلب حبيبها الشرقي للزواج منها. كتبت رسالة إلى البطل تقول فيها:"لقد استعدت ماحدثتني به عن المستقبل و عن آمالك وعن حياة الصراع الذي أنت مدعو إلى أن تعيشها في بلادك فوجدت أن دنياك التي تحلم بها أوسع وأعظم من أن يستطيع الثبات فيها شخص ضعيف مثلي، إنك الآن تبدأ النضال، أما أنا فقد فرغت منه، ومات حس النضال في نفسي.....لا يا حبيبي لسنا على صعيد واحد، لقد وجدت أنت نفسك بينما أضعت أنا نفسى، فكيف تريدني أن أستطيع السير إلى جانبك، قدما واحدة، في الطريق الشاق الذي ستسلك؟..... إن بوسعي الآن أن أتمثل نفسي إذا رافقتك ستجرجرني خلفك، سأعيق طموحك، سأكون أنا في السفح وتكون أنت في القمة

[148]. شرق وغرب:رجولة وأنوثة- جورج طرابيشي-ص-١٠٣

فامض قدما يا حبيبي...ولا تلتفت إلى وراءك....وعد أنت يا حبيبي إلى شرقك البعيد الذي ينتظرك، ويحتاج إلى شبابك و نضالك."[149]

ويعلق جورج طرابيشي على هذه العبارة قائلا:"ففي تلك الصفحة الأخيرة لايعود بطلنا يمثل نفسه وحدها ولا يعود يمثل حتى الفتى الشرقي، وإنما يغدو رمزا للشرق الذي يستيقظ، ولاتعود جانين تمثل نفسها وحدها ولاتعود تمثل حتى الفتاة الغربية، وإنما تغدو رمزا للغرب الذي يأفل..... إنها تضع كلا من الشرق والغرب في كفتي ميزان ، فلا ترجح كفة واحدهما، إلا إذا شالت كفة الآخر ، والعلاقة التي تقيمها بينهما علاقة صراع أبدي. فهي تجعل ازدهار الغرب مسؤلا عن انحطاط الشرق، ولا تتصور يقظة للشرق إلا إذا واكبها أفول للغرب."[150]

فالصراع بين الشرق والغرب كما مثلته هذه الرواية قديم قدم تاريخ الشرق والغرب. الاستشراق والاستعمار والإمبريالية كلها أوقدت وأثارت وأذكت جذوة الصراع. ولما بدأ الشرق يفيق و يستيقظ، وجد نفسه يهيئ لمزيد من الصراع مع العالم الغربي الذي أذاقه أنواعا من العذاب و أشكالا من الظلم والعدوان. و صور هذا العذاب والظلم والعدوان لاتزال باقية راسخة في أذهان أهل الشرق كلهم.فكل مرة يلتقون مع الغرب أو

[149]. الحي اللاتيني –سهيل إدريس-ص- ٢٦١-٢٦٢
[150]. شرق وغرب:رجولة وأنوثة- جورج طرابيشي-ص- ١٠٩-١١٠

يتعاملون معه تراودهم خواطر و أحاسيس من الحقد و الكراهية. وربما يقع في أذهان بعضهم أن يثأروا من الغرب و ينتقموا منه جزاء بما مارسوه من ظلم وعدوان واستعمار تجاههم. وقد صورت هذه الرواية كل هذه الأفكار تصويرا رائعا.

الفصل الثالث

رواية موسم الهجرة إلى الشمال: دراسة و تحليلا

رواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال" من أهم وأروع الروايات العربية التي تعالج قضية الصراع بين الشرق والغرب معالجة واضحة وقوية. والحق أن الصراع الحضاري بين الشرق والغرب له قصة طويلة وله تاريخ مؤلم وموجع كما أن له أثرا بعيدا و كبيرا في الوجدان العربي الحديث. وإذا رأينا رواية الطيب صالح من هذا المنظور التاريخي والسياسي وجدناها تعبر عما اعتملت في أذهان المفكرين العرب الأوائل منذ القرن التاسع عشر من بغض وحقد وكراهية للمستعمرين الغرب الذين نهبوا البلاد الشرقية واستنزفوا مواردها.

تبدأ الرواية بعودة راويها إلي قريته السودانية في عالم الجنوب بعد سبع سنوات قضاها في عالم الشمال. ويفرح الراوي بلقاءه أفراد أسرته و رجال قريته الذين كانوا ملتفين حوله يستمعون إليه و يسألونه عن أوروبا وحياة الناس فيها. بينما هو كذلك إذ رأى رجلا في نحو الخمسين من عمره، ساكتا يبتسم بين حين لآخر ابتسامة غامضة، وعند سؤاله الناس عنه يعرف أنه أتى إلى القرية قبل خمس سنوات واشترى زرعا وبنى بيتا و تزوج بنتا من بنات القرية. وازداد فضول الراوي فبدأ يسأل الناس عنه و دفع

فضوله المتزايد إلى أن يلقى ذلك الشخص نفسه ويعرف عنه قصته. وحدث أن وجده يوما يقرأ شعرا إنكليزيا فخطر ببال الراوي بأن وراء هذا الشخص قصة يريد إخفاءها. وقاده بحثه إلى ذلك الشخص يوما فوجد أن إسمه مصطفي سعيد وهو من مواليد الخرطوم. ذهب إلى القاهرة للدراسة ومنها إلى إنجلترا. وتفوق تفوقا كبيرا حتى أصبح أستاذا في إحدى جامعاتها يحاضر فيها. ويعرف الراوي فيما بعد بأن لهذه الشخصية أي شخصية مصطفى سعيد جانبا مهما آخر هو أنه أراد لأن ينتقم من الغرب الذي استعمر بلاده واستنزف موارده وثرواته، ومزق شخصية رجالها. وانتقامه من الغرب قد نتج عن ذلك انتحار لثلاث فتيات أوروبيات وقتل لواحدة منهن. فيحاكم عليه بالسجن لسبع سنوات في إنجلترا وبعد خروجه من السجن تنقل في أنحاء العالم المختلفة وفي النهاية استقر به المكان في هذه القرية السودانية. ونهاية حياة البطل كانت مأساوية، أمات غرقا في فيضان النيل أم مات انتحارا، لا يعلمه أحد. وقبل موته بأيام جعل مصطفى سعيد الراوي وصيا على ولديه وزوجته، وأعطاه مفتاحا لغرفته الخاصة التي يجد فيها الراوي أشياء كثيرة كشفت له عن جوانب أخرى هامة لحياة البطل.

ظهرت هذه الرواية عام ١٩٦٧م أي بعد أن أحرزت البلاد العربية والشرقية استقلالها ولكن أحداث الرواية تقع في النصف الأول من القرن العشرين حينما كان الاستعمار الغربي البغيض جاثما على الأراضي الشرقية

ويملي كلمتها على أهاليها. و في ذلك الوقت كان وجدان الناس مليئا بالبغض ضد الاستعمار و سياسة المستعمرين في بلادهم. حيث كانوا في صراع دموي حقيقي مع الاستعمار وكانوا يحاولون إخراجه من بلادهم، ولذا نرى جذوة الانتقام والثأر عند بطل الرواية أشد وأقوى. فبطل الرواية مصطفى سعيد يريد أن يكيل للمستعمرين صاعا بصاع فهو يصيح فيهم:"إنني جئتكم غازيا في عقر داركم، قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ."[١٥١]ويقول في مقام آخر"وأنا أحس تجاههم بنوع من التفوق ،فالاحتفال مقام أصلا بسببي، وأنا فوق كل شئ مستعمر، إنني الدخيل الذي يجب أن يبت في أمره ، حين جئ لكتشنر بمحمود ود أحمد وهو يرسف في الأغلال بعد أن هزمه في موقعة بترا، قال له "لماذا جئت بلدي تخرب وتنهب؟"الدخيل هو الذي قال لصاحب الأرض، و صاحب الأرض طأطأ رأسه ولم يقل شيئا، فليكن أيضا ذلك شأني معهم."[١٥٢]

فهو يعلن عن خوضه في معركة شرسة حامية الوطيس مع الغرب المستعمر ينتقم منه لكل ما قام به من ظلم و عدوان في وطنه الشرقي، فكما أنهم كانوا دخلاء مستعمرين محتلين لبلاده، فهو يريد أن يلعب نفس الدور معهم، وفي ذلك يقول إدوارد سعيد في كتابه"الثقافة و الإمبريالية" "إن

[151].موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص.١٠٠
[152].نفس المصدر-ص.٩٩

الطيب صالح نجح بامتياز في كتابة رواية تتضمن خطابا موازيا لخطاب الاستعمار الذي قدمه الروائي جوزيف كونراد في روايته "قلب الظلام."[١٥٣]

ومصطفي سعيد جاء إلي الغرب ليغزوه مثلما غزوا بلاده،"أنا الغازي الذي جاء من الجنوب،هذا هو ميدان المعركة الجليدي الذي لن أعود منه ناجيا."[١٥٤] وفي ذلك يقول الدكتور مصطفى عبد الغني في كتابه"الإتجاه القومي في الرواية العربية" إن مصطفى سعيد جاء إلى الغرب وتحت جلده عرق عربي عميق لايستطيع الخلاص منه قط، وقد سعى للخلاص من المناخ العربي، لكنه لم يستطع، ومن ثم حاول أن يلعب دور الآخر -الأعلى والأرقى -حاول أن يغزو الغرب، كما غزانا الغرب من قبل....حاول مصطفى إثبات تفوقه على الغرب بأن يعكس الأدوار، فبدلا من أن يغزونا الغرب في عقر دارنا، لأنه أقوى، نقوم نحن بغزو الغرب،نغزو نحن(هو) هذا الغرب في نسائه."[١٥٥]

ويبلغ الثأر ذروته وتبلغ لعبة الدور المعاكس أقصاها حينما يصبح عبد الأمس إله اليوم فها هي إيزابيلا سيمور إحدى فرائسه تقول له"أنت إلهي لا إله غيرك."[١٥٦] "اغتلنى أيها الغول الإفريقي ..احرقني في نار معبدك

---

[153].الثقافة والإمبريالية- إدوارد سعيد ص.٢١٢

[154]موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص.١٦٠

[155].الإتجاه القومي في الرواية العربية-د.مصطفى عبد الغني-ص،٩٨

[156].موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص،١١٢

أيها الإله الأسود. دعني أتلوى في طقوس صلواتك العربيدة المهيجة"[١٥٧] وربما يصل الأمر إلى حد كون المنتقم سيدا و ضحيته جارية له، آن همند قالت له:"أنت مصطفى مولاي و سيدي وأنا سوسن جاريتك. هكذا كل منا اختار دوره في صمت ،هي تمثل دور الجارية وأنا أمثل دور السيد.....قلت لها بصوت آمر: تعالى، فأجابتني بصوت خفيض: سمعا وطاعة يا مولاي.."[١٥٨]

ويقول الدكتور محمد نجيب التلاوي:"أما الطيب صالح في(موسم الهجرة إلى الشمال)فأيقن بقوة المستعمر...وأيقن بضعف المقاومة وقاد بروايته التعبير عن مرحلة الانتقام ورغبة الانتصار تراوده...ولذلك امتلأ حقدا على الآخر الأوروبي(المستعمر)بصورته الكريهة يقول مصطفى سعيد"نعم يا سادتي جئتكم غازيا في عقر داركم،قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ " ويتذكر بعض ما يزيد حقده على الآخر...:"إنني أسمع صليل سيوف الرومان في قرطاجة...البواخر مخرت النيل أول مرة تحمل المدافع لا الخبز، و سكك الحديد أنشئت أصلا لنقل الجنود، و أنشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول نعم بلغتهم، إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر" إنه إنفجار الذاكرة الحاقدة لتلقيح الواقع الأوروبي بلهيب الحقد"[١٥٩]

---

[157] .نفس المصدر-ص، ١١٠

[158] .نفس المصدر-ص، ١٤٦-١٤٧

[159] . الذات والمهماز- التلاوي- د.محمد نجيب ص، ٦٥-٦٦

وربما يتسائل شخص لما ذا هذا الحقد والبغض للمستعمرين؟ وما ذا كان وراء الانتقام و طلب الثأر من جانب مصطفى سعيد؟ولما ذا كان هو مصمما على أن يثأر لنفسه ولوطنه ولشرقه ككل... وفي ذلك يقول جورج طرابيشي في كتابه:"كان مصطفى سعيد يثأر بطريقته الخا صة للعشرين ألفا من السو دانيين الذين سقطوا بر شا شات كتشنر. وكان يثأر أيضا بطريقته الخا صة من مدر سة حضارة الا ستعمار، مدر سةالتدجين والمثاقفة، وبقدر ما كان الرجل الأبيض يزعم أن له مهمة حضارية في مجاهل القارة السو داء، كان مصطفى سعيد ينتصب كالطو د-أو كالوتد- شاهد نفي. وإ ذا شئنا أيضا شاهد إثبات....فبقدر ما تركزت جهو د الرجل الأبيض "البشرية" أو "التحضيرية"على ذهن جلد الرجل الأ سو د بقشرة براقة، كان دور مصطفى سعيد أن يكشط عنه با ستمرار تلك القشرة. كان البرفسور ماكسويل فستركين في جامعة أوكسفور د،وعضو اللجنه العليا لمؤتمر الجمعيات التبشيرية البروتستينية في أفريقيا،يقول له "في تبرم واضح" أنت يا مستر سعيد خير مثال على أن مهمتنا الحضارية في أفريقيا عديمةالجدوي، فأنت بعد كل المجهو دات التي بذلناها في تثقيفك كأنك تخرج من الغابة لأول مرة."[١٦٠١١]

فوراء حقد مصطفى سعيد على الغرب وكراهيته لهم قصة ا ستعمار في العصرالحديث و حروب طويلة دامية في الماضي البعيد. فالا ستعمار وتداعياته على العالم الشرقي من أهم الدوافع التي أدت إلى حدو ث نضال و صراع طويلين عنيفين،كما أن للموضوع بعدا تاريخيا قديما قدم تاريخ الشرق والغرب. فذاكرة بطل الرواية مصطفى سعيد مليئة بما مار سه الا ستعمار من ظلم وعدوان على الشعوب المتبوعة المقهورة المستعمرة و سلب لحقوقها ونهك لأعراضها ونزف لموار دها. فهو دائما في شعوره الواعي واللاوعي لا يزال يشعر بما قد تمخض عنه الا ستعمار من صراع ونضال وظلم وعدوان.

ونجد في صفحات الرواية العديدة ذكر مظالم المستعمرين على الشعوب المستعمرة فهم كانوا يتصرفون في الأمور كيفما يشاءوا..كانوا يظلمون النا س ويقهرونهم و يجبرونهم على دفع العوائد أضعافا مضاعفة."كان مفتش المركز الإنكليزي إلها يتصرف في رقعة أكبر من الجزرالبريطانية كلها، يسكن في قصر طويل عريض مملوء بالخدم ومحاط بالجند. و كانوا يتصرفون كالآلهة، يسخروننا نحن الموظفين الصغار أولا د البلد لجلب العوائد، ويتذمر النا س منا و يشكون إلى المفتش الإنكليزي

وكان المفتش الإنكليزي طبعا هو الذي يغفر ويرحم. هكذا غرسوا في قلوب الناس بغضنا، نحن أبناء البلد، وحبهم هم المستعمرين الدخلاء"[١٦١]

وفي مكان آخر في الرواية جرى حوار بين زميل لراوية الرواية إسمه منصور و رجل إنجليزي إسمه رتشارد واستطرد الحوار إلي الحديث عن الاستعمار الأوروبي" سمعت منصور يقول لرتشارد:"لقد نقلتم إلينا مرض اقتصادكم الرأسمالي. ماذا أعطيتمونا غير حفنة من الشركات الاستعمارية نزفت دماءنا ولاتزال؟" وقال له رتشارد:"كل هذا يدل على أنكم لا تستطيعون الحياة بدوننا. كنتم تشكون من الاستعمار، ولما خرجنا خلقتم أسطورة الاستعمار المستتر، يبدو أن وجودنا بشكل واضح أو مستتر ضروري لكم كالماء والهواء."[١٦٢]

وقد سيطر الغرب بالاستعمار على أكبر مجموعة من الأراضي الشرقية وحولوها إلى مناطق نفوذ لهم وأنشأوا فيها مؤسسات و شركات لمصالحهم وحدهم لا لمصالح الناس المحليين وفي ذلك يقول مصطفى سعيد" وقد أنشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول"نعم"بلغتهم، إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل في السوم وفي فردان، جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام"[١٦٣]

---

[161]. موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص، ٥٧
[162]. نفس المصدر-ص، ٦٣
[163]. نفس المصدر-ص، ١٠٠

ونرى في الرواية أن الاستعمار و سياسة المستعمرين لنهب ثروات العالم المستعمر وتغيير ثقافاته هي طاغية على فكر مصطفي سعيد،فيجد الراوي في غرفة مصطفي سعيد الخا صة عدة كتب كتبها بطل الرواية وكلها تتعلق بالا ستعمار."اقتصا د الا ستعمار، مصطفي سعيد، الا ستعمار والاحتكار، مصطفي سعيد، الصليب والبارو د ،مصطفي سعيد،اغتصاب أفريقيا ،مصطفي سعيد."[١٦٤]

كما أننا نجد في الرواية ذكر الأوروبيين الذين كانوا يستمعون إلى محاضراته وكان الحضور يضم عد دا هائلا ممن عملوا في الشرق و ساهموا بطريقة ما في الا ستعمار الأوروبي البغيض." وبعد المحاضرة التفوا حولي، موظفون عملوا في الشرق، ونساء طاعنات في السن مات أزواجهن في مصر والعراق والسو دان ورجال حاربوا مع كتشنر واللنبي، ومستشرقون وموظفون في وزارة المستعمرات و موظفون في قسم الشرق الأو سط في وزارة الخارجية."[١٦٥]

[164]. موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص،١٣٨
[165].نفس المصدر-ص. ١٤٣-١٤٤

البعد التاريخي للصراع الحضاري في الرواية:

يقول مصطفى سعيد:"أنا الغازي الذي جاء من الجنوب، وهذا هو ميدان المعركة الجليدي الذي لن أعود منه ناجيا، أنا الملاح القرصان وجين مورس هي ساحل الهلاك، ولكن لا أبالي"[١٦٦].

وهكذا نجد بطل الرواية يحدد غايته من اقتحامه العالم الغربي ويتبنى موقفه تجاهه، إنه قد صمم على أن يفني حياته في سبيل أخذ ثأره من الشمال الأوروبي. يقول جورج طرابيشي في كتابه" شرق وغرب":"جين مورس كانت عالما ومصطفي كان عالما، ولم يكن بين هذا العالمين من سبب غير الصراع و غير العنف.لم يكن هذا العنف ابن يومه، بل كان من موروثات التاريخ.على امتداد صفحات قصة حياته كان مصطفى سعيد يتحدث عن"جرثوم مرض عضال"،جرثوم مرض فتاك"له من العمر ألف عام، وليس مصطفى سعيد هو الذي دفع بآن همند و شيلا غرينود إلى الانتحار، وليس مصطفى هوالذي قتل جين مورس،وإنما هي العدوى، عدوى الجرثوم القاتل"أصابتهن منذ ألف عام"ماذا حدث قبل ألف عام؟وما تلك الجرثومة؟وما ذلك المرض العضال؟المرض مرض أوروبي، والجرثومة جرثومة"العنف الأوروبي الأكبر"، وقبل ألف عام عرض العنف الأوروبي

[166]. نفس المصدر-ص.١٦٠

أولى تظاهراته:الحملات الصليبية، في تلك الحملات كانت الجرثومة في طور الحضانة، وكان كل ما حدث في تلك الحملات الثماني قبل ألف عام مجرد إرهاص بما سيحدث في كبرى الحملات الصليبية:الحملة الاستعمارية."[١٦٧]

عند مصطفى سعيد جرثومة المرض الفتاك أصابت الأوروبيين قبل ألف عام، ويقول إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل. ولما انتحرت الأوروبيات لم يكن وراء انتحارهن سبب غير سبب هذا لجرثوم الفتاك. وهذا ما قاله البرفسور ماكسول فستركين:"قال لهم إن آن همند و شيلا غرينود كانتا فتاتين تبحثان عن الموت بكل سبيل، وأنهما كانتا ستنتحران سواء قابلتا مصطفى أو لم تقابلاه....هاتان الفتاتان لم يقتلهما مصطفى سعيد ولكن قتلهما جرثوم مرض عضال أصابهما منذ ألف عام."[١٦٨]،ويقول محي الدين صبحي بهذا الصدد:"ومصطفى سعيد يتبنى هذا التعليل ويضيف إليه أن دوره يقتصر على أنه هيج"كوامن الداء حتى استفحل وقتل" ولكن تبنيه لهذا الدور كان مدفوعا بحقد تاريخي على عنفهم هم الأوروبيين. فهو حقد إيجابي وإن كان اتخذ مظهرا سلبيا في البداية، مع النساء الثلاث اللواتي انتحرن، ثم تجلى بمظهر إيجابي فاجع في جريمة قتل ليست الغيرة وحدها هي الدافع إليها،

[167].شرق و غرب- جورج طرابيشي-ص،١٦٧-١٦٨
[168]. موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص،٣٦

وإذا تقصينا الحقد التاريخي في النفس الواعية وغير الواعية عند مصطفى سعيد وجدناه يتلخص في تصميمه على رد الأذى بأذى آخر: الأذى الجماعي، الأذى التاريخي، قبل الأذى الشخصي. الفتيات اللائي انتحرن لم يؤذنه، لم يؤذهن أذى شخصيا، وإنما حرك فيهن"كوامن الداء حتى استفحل و قتل"، فهو أذى جماعي أما جين مورس فقد آذته بشخصه فقتلها."[١٦٩]

ونرى نماذج عديدة للحقد التاريخي على العنف الأوروبي في شعور البطل اللاوعي في الرواية. ومن تلك النماذج قوله هذا"إنني أرى في هذه المحكمة صليل سيوف الرومان في قرطاجة وقعقعة سنابل خيل اللنبي وهي تطأ أرض القدس. البواخر مخرت عرض النيل أول مرة تحمل المدافع لا الخبز، و سكك الحديد أنشئت أصلا لنقل الجنود"[١٧٠]

فهذا نموذج البعد التاريخي للصراع الحضاري الذي يظهر للبطل كأنه كتاب سجلت فيه أوراق الأحداث الماضية للعنف الأوروبي وهو يقلبها صفحة صفحة بداية من العنف الروماني القديم و صولا إلى العنف الاستعماري الأوروبي الجديد. ومن أروع أمثلة لهذا الصراع التاريخي بين الشرق والغرب ما يلفقه مصطفى سعيد من قصص تاريخية و أحداث قديمة

---

[169] .الطيب صالح:عبقري الرواية العربية-مجموعة مؤلفين –ص.٤٧-٤٨

[170] . موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص،٩٩-١٠٠

موجودة في شعوره اللاوعي حينما يقول لإيزابيلا سيمور:"هذا إذن يفسر كل شئ، يفسر لقاءنا صدفة وتفاهمنا تلقائيا، كأننا تعارفنا منذ قرون، لا بد أن جدي كان جنديا في جيش طارق ابن زياد، ولابد أنه قابل جدتك، وهي تجني العنب في بستان في أشبيلية، ولابد أنه أحبها من أول نظرة، وهي أيضا أحبته. وعاش معها فترة ثم تركها وذهب إلى أفريقيا، وأنت جئت من سلالته في أسبانيا."[١٧١]

وبعد أن اختلق مصطفى سعيد هذه القصة الطريفة ولفقها عاد فذكر ما حدث في الماضي البعيد"وتخيلت برهة لقاء الجنود العرب لإسبانيا، مثلي في هذه اللحظة ،أجلس قبالة ايزابيلا سيمور،ظمأ جنوني تبدد في شعاب التاريخ في الشمال. إنما أنا لا أطلب المجد، فمثلي لا يطلب المجد."[١٧٢]

وحدث نفس الشئ لبطل الرواية مع آن همند التي قالت له:" أنت جميل تجل عن الوصف، وأنا أحبك حبا يجل عن الوصف، قلت لها بعاطفة أخافتني حدتها: وأخيرا وجدتك يا سوسن"...قالت بعاطفة لا تقل عن عاطفتي حدة. كيف أنسى دارنا في الكرخ في بغداد على ضفة نهر دجلة أيام المأمون؟.....ورغم إدراكي إنني أكذب، فقد كنت أحس إنني بطريقة ما

[171]. موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص،٤٥
[172]. نفس المصدر-ص. ٤٥

أعني ما أقول، وإنما هي أيضا رغم كذبها فإن ما قالته هو الحقيقة."[173] ويقول محي الدين صبحي بهذا الصدد:"هذا الإحساس بأن الكذب والتهريج والتلاعب بالألفاظ والموقف هو وحده الحقيقة، وهو وحده وسيلة النفاذ إلى الحقيقة، هو لب الموقف كله. إنه سخرية تجمع بين التهكم والامتثال والتلاعب والتحقق، فإذا تابعنا التعليق الماضي وجدناه يقول:"كانت تلك لحظة من لحظات النشوة النادرة التي أبيع عمري كله. لحظة تتحول فيها الأكاذيب أمام عينيك إلى حقائق، ويصير التاريخ قوادا، ويتحول المهرج إلى سلطان."[174]

فهذه النماذج من الرواية تقدم لنا رؤية واضحة و صريحة للصراع الحضاري القديم بين الشرق والغرب والذي يتغلب على شعور البطل الواعي واللاواعي حتى أنه ما يلفقه من كذب و يعتبره من وهم و خيال يصبح حقيقة واقعة في الماضي البعيد والقريب والذي أثره ممتد إلى الحاضر الذي يعيشه.

البحث عن الذات الشرقية و الهوية الثقافية:

الرواية لا تتكلم عن قضية الصراع بين الشرق والغرب من الناحية السياسية فقط، بل تتجاوز ذلك إلى الكلام عن الهوية الثقافية و الذات

---

[173]. نفس المصدر-ص.١٤٤

[174]. الطيب صالح:عبقري الرواية العربية-مجموعة مؤلفين -ص. ٥٢- ٥٣

الشرقية وعلاقتها مع الآخر. وهذا يتعلق بما قد تمخض عنه الاستعمار من دمار و خراب و محاولته لهدم الثقافة المحلية وتمزيق الذات الشرقية المستعمرة المتبوعة. ونرى لهذا التمزق الذاتي صورا و أنماطا وأشكالا في الرواية العربية التي تعالج موضوع الصراع الحضاري.

ففي رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" نجد بطل الرواية مصطفى سعيد ممزقا تمزيقا كبيرا، وهو يلوم المستعمرين لهذا، ويحملهم مسئولية تمزق ذاته و تشتتها. فمهما وصل مصطفى سعيد من تفوق أكاديمي علمي إلا أنه يجد نفسه منهارة أمام بحثه عن هويته، حتى ربما يخيل إليه الأمر بأنه أكذوبة، لا وجود له، لا قيمة للحب عنده. إنه تصوير صادق للجيل الذي عانى الاستعمار وعدوانه، ورآه عن كثب يخرب بيئته ومجتمعه و معتقداته وجذوره وأصله. فاق مصطفى سعيد أقرانه في كسب العلم وبرز كماهر في علم الاقتصاد إلا أن تفوقه هذا لا يعني شيئا أمام بحثه الحثيث و سعيه الدائم للكشف عن ذاته وأخذ الثأر من الذين دفعوه إلى حاله تلك.فهو يقول:"أنا جنوب يحن إلى الشمال والصقيع."[١٧٥] "كل شئ حدث قبل لقائي إياها كان إرها صا، وكل شئ فعلته بعد أن قتلتها كان اعتذارا، لا لقتلها، بل لأكذوبة حياتي."[١٧٦]

[175]. موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص، ٣٣
[176]. نفس المصدر-ص-٣٢

وفي قاعة المحكمة التي يحاول فيها أستاذه البرفسور ماكسول فستركين أن يخلصه من المشنقة، خطر له في ذلك الوقت أن يقف ويصرخ في المحكمة"هذا المصطفى لا وجود له، إنه وهم، أكذوبة وإنني أطلب منكم أن تحكموا بقتل الأكذوبة لكنني كنت هامدا مثل كومة رماد."[١٧٧]ويقول أستاذه في المحكمة "مصطفى سعيد يا حضرات المحلفين إنسان نبيل، استوعب عقله حضارة الغرب، لكنها حطمت قلبه، هاتان الفتاتان لم يقتلهما مصطفى سعيد ولكن قتلهما جرثوم مرض عضال أصابهما منذ ألف عام."[١٧٨] هذا ما قاله أستاذه أما مصطفى سعيد فهو لم يرض لهذا القول بل يرى فيه غياب حلمه لقتل أكذوبته فها هو يقول"وخطرلي أن أقف وأقول لهم :"هذا زور وتلفيق، قتلتهما أنا. أنا صحراء الظمأ. أنا لست عطيلا. أنا أكذوبة، لماذا لا تحكمون بشنقي فتقتلون الأكذوبة، لكن برفسور فستركين حول المحاكمة إلى صراع بين العالمين، كنت إحدى ضحاياه."[١٧٩]

ولعل في انتحال مصطفى سعيد عدة أسماء لإيقاع فرائسه في شراكه ما يرمز إلى تمزق ذاته و فقده هويته و نجد في غير مكان في الرواية بأن الراوية هو بنفسه يعتبر مصطفى سعيد أكذوبة فهو يقول:"هل كان من الممكن أن يحدث لي ما حدث لمصطفى سعيد؟ قال إنه أكذوبة فهل أنا

---

177. نفس المصدر-ص-٣٥

178. نفس المصدر-ص-٣٦

179. موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص-٣٦

أيضا أكذوبة؟ إنني من هنا أليست هذه حقيقية كافية؟"[180] حتي أن القاضي قال لمصطفى سعيد في الأولد بيلي قبل أن يصدر عليه الحكم"إنك يا مستر مصطفى سعيد، رغم تفوقك العلمي رجل غبي، إن في تكوينك الروحي بقعة مظلمة، لذلك فإنك بد دت أنبل طاقة يمنحها الله للناس، طاقة الحب."[181]

ما أ صاب مصطفى سعيد من تمزق في ذاته و فقدان لهويته وعدم اتزانه في فكره وعدم اعتداله في موقفه رغم محاولاته المستميتة والحثيثة، السبب وراء هذا كله يرجع إلى ما حاق به وبجيله من سوء و عدوان و انشطارالذات من جانب الا ستعمار فهو يثور و يفور ويغلى ويزبد لأخذ الثأر من المستعمرين، فهو يصيح فيهم:" نعم يا سا دتي جئتكم غازيا في عقر داركم، قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ، أنا لست عطيلا، عطيل كان أكذوبة."[182] ويؤكد ذلك ما قاله محجوب لصديقه الراوي عن مصطفى سعيد"قلت له إن مصطفى سعيد كان أكذوبة، وضحكت مرة أخرى ضحكة مخمورة وقلت له:"هل تريد أن تعرف حقيقة مصطفى سعيد؟فقال محجوب:"أنت لست سكران بل مجنون أيضا، مصطفى سعيد هو في الحقيقة نبي الله الخضر، يظهر فجأة ويغيب فجأة."[183]

---

180. نفس المصدر-ص-٥٢
181. نفس المصدر-ص-٥٨
182. موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص- ١٠٠
183. نفس المصدر-ص-١١١

ونجد في إهداء مصطفى سعيد أوضح صورة وأ صدق تعبير عن ذاته الممزقة الحائرة و عن شخصيته المنهارة"قصة حياتي بقلم مصطفى سعيد" وفي الصفحة التالية الإهداء :" إلى الذين يرون بعين واحدة ويتكلمون بلسان واحد ويرون الأ شياء إما سو داء أو بيضاء،إما شرقية أو غربية."[184] ويقول جورج طرابيشي بهذا الصد د:"لأن شخصية مصطفى سعيد مركبة من الحب والحقد، فإنها شديدة التعقيد، فقد تبدو متناقضة إ ذا نظر إليها بعين واحدة و ذلك هو السر في أن بعضهم يرى فيه ثائراعلى الا ستعمار و مقارعا لهم.....ولهذا بالتحديد أرا د مصطفى سعيد أن يكتب بنفسه سيرته حتى تفهمه الأجيال من بعده فلا تظلمه، ومع أنه لم يكتب من قصة حياته سوى الإهداء، فإن هذا الإهداء يغني غناء كل صفحات الكرا سة التي بقيت فارغة نا صعة البيا ض، فقد جاء فيه" إلى الذين يرون بعين واحدة ويتكلمون بلسان واحد ويرون الأ شياء إما سو داء أو بيضاء، إما شرقية أو غربية."[185] ويكتب خيري دومة في مقال بعنوان"مو سم الهجرة إلى الشمال و نظرية"ما بعد الا ستعمار": إهداء ليس له ما بعده، لأن ما بعده لم يكن ممكنا، "إلى الذين يرون بعين واحدة ويتكلمون بلسان واحد ويرون الأ شياء إما سو داء أو بيضاء،إما شرقية أو غربية"إهداء حزين لمخلوق ربما كان له وجو د في الماضي ، لكنه بسبب الا ستعمار توقف عن الوجو د، إن المجتمع الذي

---

184. نفس المصدر-ص-١٥١

185. شرق و غرب- جورج طرابيشي-ص-١٤٥

أ صبحت ثقافته هجينة، تتولد عنه الآن ذات منقسمة : ذات ترى بعينين وتتكلم بلسانين ،وترى الأ شياء بيضاء سو داء، لا شرقية ولا غربية، تلك كانت مأ ساة مصطفى سعيد."[١٨٦]

بين البطل المنتقم المناضل والراوية المتصالح والمسالم:

بطل الرواية مصطفى سعيد يمثل دور الرعيل الأول من المفكرين العرب الذين ا صطدموا بالغرب ا صطداما و واجهوا الا ستعمار الأوروبي في عنفوانه و ذروته. فكانت الصدمة لهم بمثابة تمزق الذات و تشتتها، ثم تلاهم الجيل الثاني من المفكرين الذين لم يكن احتكاكهم مع الغرب في مثل تلك الصدمة التي ا صطدم بها الجيل الأول، فكان أثرها عليهم أقل حدة و أقل تمزقا. وهذا نفسه ما حدث لبطل الرواية وراويها. فمصطفى سعيد ولد في عام ١٨٩٨م وهو نفس العام الذي احتل فيه الإنكليز بلا ده السو دان، ولم يحرز السو دان ا ستقلاله إلا في عام ١٩٥٦م. وبين العهد الا ستعماري والا ستقلال فترة ٥٨ عاما. وأثناء هذه الفترة كانت بلا د البطل تناضل وتكافح من أجل الا ستقلال. ولأجل ذلك نرى أن أثر الا ستعمار على البطل كان كبيرا وكثيرا. فهو أيضا كان يناضل ولكن بطريقته الخا صة. كان يثأر من الإنكليز ويغزوهم في عقر دارهم. يقول جورج طرابيشي في

[186] .موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية"مابعد الاستعمار" خيري دومة (من الانترنت)

كتابه:"مصطفى سعيد يمثل جيل الهجرة الأولى ،والراوية جيل الهجرة الثانية، وهذه واقعة لها أثرها الحا سم في ما اتسمت به حياة الأول من اختلال واضطراب، وما اتصفت به حياة الثاني من اتزان و اعتدال، فمصطفى سعيد باعتباره أول من تزوج إنكليزية، تلقى صدمة الاحتكاك بالغرب في مطلق عنفها وعريها. أما الراوية فقد كان وقعها عليه، باعتباره الثاني،أخف، وكان بالتالى أقدر على هضمها."[١٨٧] ويقول أحمد محمد البدوي في كتابه" الطيب صالح: سيرة نص وكاتب":"وفي حدو د الرمز ، يرمز الراوي لجيل ما بعد الا ستقلال ، ويرمز مصطفى لجيل عهد ما فبل الا ستقلال"[١٨٨]

ونجد لهذا نما ذج عديدة في الرواية. فمصطفى سعيد ممثل الرعيل الأول يصيح في المحكمة ويعلن"إنني قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ"، أما الراوي،ممثل الرعيل الثاني، فهو يقول بكل هدوء و أناة"كونهم جاءوا إلى ديارنا، لا أ دري لما ذا، هل معنى ذلك أننا نسمم حاضرنا و مستقبلنا".

عند مصطفى سعيد الغرب من طينة أخرى، كانوا "غيرنا" أما الراوية فإنه واثق، إ ذا سئل عن الأوروبيين أجاب إنهم مثلنا"مثلنا تماما يولدون ويموتون وفي الرحلة من المهد إلى اللحد يحلمون أحلاما بعضها يصدق

[187]. شرق و غرب- جورج طرابيشي-ص- ١٧٦-١٧٧
[188].البدوي-محمد أحمد، الطيب صالح:سيرة كاتب ونص،ص-٢٥٠

وبعضها يخيب، يخافون من المجهول،وينشدون الحب ويبحثون عن الطمأنينة في الزواج والولد،فيهم أقوياء و بينهم مستضعفون، لكن الفروق تضيق و أغلب الضعفاء لم يعودوا ضعفاء، بطل الرواية هو ابن الاحتلال لم يستطع أن ينسى الدمار والقتل الذي قام به المستعمرون والمحتلون فهو ابن عام ١٨٩٨م فهويقول"البواخر مخرت عرض النيل أول مرة تحمل المدافع لا الخبز، و سكك الحديد أنشئت أ صلا لنقل الجنود، أما الراوي فهو ابن الا ستقلال أكثر منه ابن الاحتلال، ولذلك كان أوثق منه بالمستقبل و أكثر منه اطمئنانا إليه يقول:"إنهم سيخرجون من بلادنا إن عاجلا أو آجلا، كما خرج قوم كثيرون عبر التاريخ من بلاد كثيرة. سكك الحديد والحديد والبواخر والمستشفيات والمصانع والمدارس ستكون لنا، و سنتحدث لغتهم، دون إحساس بالذنب ولا احساس بالجميل، سنكون كما نحن ،قوم عا ديون".

مصطفى سعيد ابن الجيل الأول كان بحاجة إلى أن يناضل ويغزو ويقتل ليثبت أنه ليس "أكذوبة" و يؤكد هويته الشرقيته و انتماءه إلى الذات العربية، أما الراوي فماله إلا أن يتأمل حتى يتحسس انتماءه و يشعر بأنه "من هنا" و ليس"هناك" فيقول "ونظرت خلال النافذة إلى النخلة القائمة في فناء دارنا، فعلمت أن الحياة لا تزال بخير، أنظر إلى جذعها القوي المعتدل، وإلى عروقها الضاربة في الأرض، و إلى الجريد الأخضر المتهدل فوق

هامتها فأحس بالطمأنينة، أحس إنني لست ريشة في مهب الريح، ولكنني مثل تلك النخلة مخلوق له أ صل، له جذور، له هدف."[189]

فهذه هي بعض الأمثلة من الرواية سقناها هنا لتعبرعن الفروق بين أدوار البطل والراوي، والتي يؤديانها ويتمثلانها وفق وجهات نظرهما من الاستعمار و الحياة والهوية والذات.

[189]. موسم الهجرة إلى الشمال- الطيب صالح- ص- ٦

خاتمة

قد و صلت بفضل الله وكرمه إلى نهاية هذا البحث، فله الحمد و الشكر اللذان يليقان بجلاله سبحانه تعالى.

والحق أنني قد اطلعت من خلال دراستي هذه المتواضعة على كثير من القضايا الهامة فى الفكر العربي الحديث والمعاصر. كما أنني وقفت على كثير من التيارات الفكرية والأيدولوجية والسياسية التي يزخر بها الخطاب الروائي الحديث الذي خاض ولا يزال يخوض غمار الكفاح والنضال من أجل تقديم مشروع حضاري و ثقافي بناء إلى الأجيال العربية والشرقية الآتية.

وقد اتضح لى من خلال تتبع مسارات الفكر العربي الحديث وتوجهاته أن الخطاب الفكري العربي الحديث غني بالرؤى و الأفكار وملئ بالآراء والمواقف. وقد تبين لي بعد البحث في الموضوع أن الخطاب الروائي الحديث قد تناول قضية الصراع الحضاري بكل أبعادها و دلالاتها وزواياها و نواحيها و صور عنها في الرواية العربية تصويرا رائعا.

وخلص البحث إلى نتائج هامة:

- إن الرواية العربية خاضت غمار النضال والصراع منذ ظهور الفن الروائي في العالم العربي. فهي صورت عن آلام الشعب و آمالهم وأحلامهم وتطلعاتهم. كما أنها أ صبحت أ داة صالحة في أيدي الروائيين العرب يعبرون بها عن رؤاهم وأفكارهم عن الذات الشرقية والذات الغربية.

- أبرز البحث أن الخطاب الروائي العربي قدم صورا ونما ذج واضحة للصراع الحضاري بين الشرق والغرب، ويظهر ذلك جليا في معالجة كثير من الروايات العربية لهذه القضية و تمثيلها في صفحاتها.

- وقد اتضح لي من خلال تتبع هذه القضية في الخطاب الروائي الحديث أن الرواية العربية قدمت صورا عديدة للغرب المستعمر ور سمت نما ذج مختلفة له على مستويات متعد دة، فأحيانا يبدو الغرب الآخر للروائي العربي في صورة الغرب الحضاري بفكره وفنه ومجتمعه المتقدم، وأحيانا أخرى يتجلى في صورة الغرب الا ستعماري والأيدولوجي، ومرات أخرى يبدو في صورة الغرب المؤهل للتحاور والمستعد للتفاهم، وتارة أخرى يبدو في صورة المتوحش الذي لا يقبل إلا الصدام والصراع.

- وقد تبين لي من خلال البحث أن الا ستعمار قد وظف و سائل عديدة للتغلغل في الدول الشرقية ومن تلك الو سائل الا ستشراق الذي عني بدرا سة الشرق وقيمه وعقائده وعا داته وقدم صورا نمطية تبخيسية عن العالم الشرقي والذي ا ستخدمه المستعمرون ووظفوه لإظهار ا ستعلائيتهم وفوقيتهم وإبراز دونية الشعوب الأخرى وحاولوا أن يهدموا الثقافات المحلية و يطمسوا هويات أ صحابها وخصو صيات شعوبها الثقافية والحضارية.

- ا ستنتج البحث أن الرواية العربية قد ر صدت الوجه الا ستعماري العدواني للغرب في فترات عهد ا ستعماره للشعوب الشرقية المختلفة، فتحدثت عن الحقبة الا ستعمارية وما تركته من تداعيات على العالم الشرقي ومن آثار في الوعي واللاوعي العربيين، وكشفت عن الا ستعمار المقنع بقناع التحضر والتمدن.

- كما أوضح البحث أن الروائيين العرب قد اتخذوا مواقف عديدة للتعامل مع الغرب، فعند البعض يذهب الأمر إلى حد العنف والانتقام من الغرب المستعمر، وعند البعض الآخر يبدوالأمر أقل حدة و أكثر توازنا، فهم يدعون إلى مصالحة وتصالح ومسالمة.

- أبـرز البحـث أن معظـم الأبطـال الروائيـة الشـرقية عنـد ا صـطدامها بالحضارة الغربية و الصدمة التي تلحقهـا تقـع فـي حالـة تمـزق ذاتـي خطير والتي لا ترى النجاة منها إلا إذا ترجـع إلـى أ صـلها وجـذورها الثقافية مما يظهر لنا ما بين العالمين من أوجه الاختلاف فـي القـيم و أ شكال الصراع التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ القديم والتـي يمتد أثرها حتي اليوم.

- كشـف البحـث أن إدراك الـذات الغربيـة فـي الروايـة العربيـة تعنـي إدراك الذات الشرقية من حيث أنه يكشف لهم عن مقومـات هـويتهم الثقافيـة ويـدفعهم إلـى فهـم واقعهـم وإ صـلاح مـا فيهمـا مـن فسـا د والنهوض به إلى التقدم والرقى مثلما تقدم الغرب ونهـض نهضـته فـي العصرالحديث.

فهـذه هـي النتـائج التـي تو صـلت إليهـا بعـد درا سـتي المتواضـعة للموضـوع، وأرجـو أن أكـون قـد وفقـت فـي ر صـد النمـا ذج والصـور عـن الصراع الحضاري في الرواية العربيـة مـن خـلال هـذا البحـث، ولله الحمـد والشكر.

المصا در والمراجع

- إدريس، سهيل: الحي اللاتيني، دار الآداب، بيروت، لبنان، الطبعةالرابعة ٢٠٠٦م
- البدوي، أحمد محمد: الطيب صالح، سيرة كاتب ونص، الدار الثقافية للنشر.
- التلاوي، محمد نجيب: الذات والمهماز، دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م
- الحكيم، توفيق : عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة
- الحلاق، محمد راتب: دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعا صر، اتحا د الكتاب العرب ١٩٩٧م
- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، كتب خانه ر شيديه ،ار دو بازار، جامع مسجد، دلهي-٦
- السباعي، الدكتورمصطفى: الا ستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي
- الطهطاوي، رفاعة رافع:تخليص الإبريز في تلخيص باريز، كلمات عربية للنشر والتوزيع، القاهرة

- العزب، الدكتور محمد أحمد: عن اللغة والأدب والنقد،(رؤية تاريخية ورؤية فنية) ، دارالمعارف، القاهرة، الطبعةالأولى
- المعوش، د.سالم: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م
- أنطونيوس، جورج: يقظة العرب، دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٧م
- بيضون، د.جميل: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩١م
- تيمور، محمود : اتجهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، ملتزم الطبع والنشر.
- حتي، فيليب : تاريخ العرب ، تاريخ غندور للطباعة والنشروالتوزيع، الطبعة التاسعة
- حسون، الدكتور علي: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م
- حسين ، الدكتور طه: الأيام، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية و الخمسون.

- حسين، د.مؤنس: الشرق الإسلامي في العصرالحديث، مطبعة حجازي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٣٨م
- حقي، يحيى: قنديل أم ها شم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعةالثالثة ٢٠٠٨م
- زقزوق، د.محمد حمدي :الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة
- سعيد، د. إدوارد:الاستشراق، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م
- سليمان، نبيل: وعي الذات والعالم دراسات في الرواية العربية، دار الحوار للنشروالتوزيع، سورية، الطبعة الأولى ١٩٨٥م
- شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة.
- صالح، الطيب: موسم الهجرة إلى الشمال، دار العين للنشر ٢٠٠٤م
- صبحي، محي الدين والآخرون: الطيب صالح، عبقري الرواية العربية، دار العودة، بيروت ١٩٨١م

- ضيف، د.شوقي : الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة التاسعة دارالمعارف
- طربين، الدكتور أحمد: تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٦،١٩٨٥م
- طرابيشي، جورج: المثقفون العرب والتراث: التحليل النفسي لعصاب جماعي،رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى فبراير،١٩٩١م
- طرابيشي، جورج : شرق وغرب رجولة وأنوثة : دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٧م
- عبد الغني، د. مصطفى : الإتجاه القومي في الرواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٧٨م
- عليان، د.حسن: العرب والغرب في الرواية العربية، دار مجدلاوي للنشروالتوزيع، عمان ٢٠٠٤م
- عمر، عمرعبدالعزيز: محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصرالحديث، دار المعرفة الجامعية.

- عودة، د. محمد عبد الله، والخطيب، إبراهيم ياسين: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع ،عمان، ١٩٨٩م
- قبش، أحمد : تاريخ الشعر العربي الحديث، دارالجيل،بيروت
- لوتسكي، فلاديمير: تاريخ الأقطار العربية الحديث، دار الفارابي ، الطبعة التاسعة،٢٠٠٧م
- مباركي د.جمال: الغرب في الرواية العربية الحديثة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراة العلوم في الأدب العربي الحديث، ٢٠٠٨-٢٠٠٩
- مكي، د. الطاهر أحمد: الشعر العربي االمعاصر روائعه و مدخل لقراءته، دار المعارف، الطبعة الثالثة،١٩٨٦م
- هيكل، الدكتور أحمد: تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع شعشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف ،الطبعة السادسة، ١٩٩٤م
- هيكل، د. محمد حسين: الشرق الجديد، دارالمعارف، الطبعة الثانية ١٩٩٠م
- هيكل، د. محمد حسين : ثورة الأدب ، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

باللغة الانجليزية:

- Abu Lughod, Ibrahim: Arab rediscovery of Europe: A study in cultural Encounters, Princeton University Press, Princeton, New jersey 1963
- Badwi, M.M.: A short history of Modern Arabic Literature, Clarendon Press,Oxford,1993
- El-Enany, Rasheed: Arab Representations of the Occident; East- West Encounters in Arabic fiction, Routledge 2006
- Said, Edward: Orientalism, Penguin Books, India 2001
- Said, Edward: Culture and Imperialism, Vintage books, a division of Random House, Inc. New York

الجرائد والمجلات:

- مجلة العربي: العدد ٥٧٦- شوال ١٤٢٧ه- نوفمبر ٢٠٠٦م

باللغة الانكليزية:

- British journal of Middle Eastern Studies, Vol.1 (1993), Published by: Taylor and Francis, Ltd.
- Journal of Arabic Literature, Vol.1 (1970), Published by: BRILL.
- Middle East Journal, Vol. 30, No.1 (winter, 1976), Published by: Middle East Institute.

- International Journal of Middle East Studies, Vol. 25, No.2 (May, 1993) Published by: Cambridge University Press.

المواقع الإلكترونية:

- www.al-mostafa.com
- www.4shared.com
- www.jstor.org

محتويات البحث

المقدمة ٠١

الباب الأول: الأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلدان العربية عند النهضة العربية الحديثة ٠٨

الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية والسياسية في البلدان العربية٠٩

بداية النهضة ٠٩

العالم العربي قبل النهضة الحديثة ٠٩

سقوط الخلافة العباسية وأثرها على العالم العربي ١٠

الأوضاع السياسية إثر سقوط الخلافة العباسية ١١

الأوضاع الاجتماعية ١٣

العالم العربي تحت الحكم العثماني ١٥

حالة الوطن العربي في القرن التاسع عشر ٢٠

ضعف الدولة العثمانية وبروز غول الاستعمار الأوروبي ٢٢

أثر ضعف الدولة العثمانية على العالم العربي وتغلغل الاستعمار الأوروبي فيه ٢٥

الفصل الثاني: النهضة العربية الحديثة ٢٨

عوامل مؤثرة في النهضة الحديثة ٣٥

الطباعة والصحافة (المطابع والصحف) ٣٦

الترجمة والإبداع ٣٨

الفصل الثالث: تطور الأدب العربي الحديث وظهور الفنون الأدبية الحديثة ٤٢

تطور الشعر العربي الحديث ٤٦

تطور النثر العربي الحديث ٤٨

الباب الثاني: تجسيد الرواية العربية الحديثة لمسألة الصراع بين الشرق والغرب فيما يتعلق بالقضايا السياسية والاجتماعية ٥٣

الفصل الأول: إرهاصات عن الصراع بين الشرق والغرب في النصوص الروائية الأولي ٥٤

الفصل الثاني: قضيةالصراع بين الشرق والغرب في الروايةالعربية:القضايا الاجتماعية والسياسية ٧١

القضايا السيا سية: (الا ستشراق والا ستعمار والصراع السيا سي)٧٣

القضايا الاجتماعية: (القيم والأخلاق والدين) ٨٠

الفصل الثالث: هل الدعوة في الرواية العربية إلى صدام حتمي أم الدعوة إلى التصالح أيضا؟ ٨٦

الباب الثالث: قراءة في بعض روايات الصراع الحضاري فيما يخص القضايا السيا سية والاجتماعية ٩٩

الفصل الأول: رواية "قنديل أم ها شم " درا سة وتحليلا ١٠٠

الصراع الثقافي في الرواية ١٠٣

الصراع الروحي والما دي بين الشرق والغرب في الرواية ١٠٨

الفصل الثاني: رواية الحي اللاتيني: درا سة وتحليلا ١١٥

التمزق الذاتي والبحث عن الهوية الشرقية الثقافية في الرواية١٢٠

القضايا السيا سية: (الا ستعمار والصراع السيا سي بين الشر ق والغرب) ١٢٣

القضايا الاجتماعية: الصراع بين القيم الشرقية والقيم الغربية١٢٩

الفصل الثالث: رواية موسم الهجرة إلى الشمال: دراسة و تحليلا ١٣٦

البعد التاريخي للصراع الحضاري في الرواية ١٤٥

البحث عن الذات الشرقية و الهوية الثقافية ١٤٩

بين البطل المنتقم المناضل والراوية المتصالح والمسالم ١٥٤

خاتمة ١٥٨

المصادر والمراجع ١٦٢

محتويات البحث ١٦٩